الدراية
مجلة علمية محكمة
تصدرها كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين بدسوق

دعوة القرآن الكريم إلى بناء وتنمية المستقبل الحضاري تأصيل وتمثيل

الأستاذ الدكتور

أنور إبراهيم منصور

الأستاذ المشارك بجامعة الطائف

المقدمة

الحمد لله رب العالمين قص الحق وهو خير الفاصلين ، والصلاة والسلام على رسولنا الامين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فمما لا شك فيه أن القرآن الكريم عنى بدراسة المستقبل عناية فائقة ، حتى أضحت بارزة المعالم والسمات ، جلية الأهداف والمنهج ، تحقيقاً لما هو مركوز في فطرة بنى الإنسان من تطلعهم الدائب إلى معرفة المجهول ، وتشوقهم إلى الكشف عن المستقبل.

على أن دراسة المستقبل ليست من أجل رؤيته بصورة محددة ودقيقة ؛ فهذا مما استأثر الله بعلمه قل لا يعلم من السموات والأرض الغيب إلاالله ، وإنما لأجل تقديم احتمالات مشروطة يستفيد منها الانسان فيما يستقبل من الزمان ؛ لأنه إذا علم ما يكون من حادث في المستقبل أمكنه أن يدفع عن نفسه بعضها ، لا أن يدفع كونها ولكن يتحرز منها ويستعد لها ، وهنا تكمن أهمية البحث الموسوم بـ . . . :

دعوة القرآن الكريم إلى بناء وتنمية المستقبل الحضاري تأصيل وتمثيل.

<u>إشكالية البحث:</u>

جاءت هذه الدراسة لتعالج إجمالاً قضية اتهام الحضارة الإسلامية بأنها حضارة ماضوية وليست قادرة على إرساء قواعد علمية لدراسة المستقبل.

وهذا الإجمال يستدعى بدوره تساؤلات أخرى تفصيلية هي :

أولاً : كيف حقق عالمنا الإسلامي لحضارته العزلة الخانقة في ساحته ، بينما لا يزال الآخرون يتلمسون إشعاعاتها ؟

ثانياً: ما هو المعنى الكامن وراء زهو عالمنا الإسلامي بتلك الحضارة ، بينما لا يطل بذاته على العالم المعاصر ولو من طرف خفي ؟

ثالثاً: ما هو البديل الثقافي الذى استعاض به عنها ؟

وأجوبة هذه التساؤلات وأخرى غيرها كثيرة تجول في خلجات البحث وصفحاته محققة الأهداف التالية

-بيان أن الدراسة المستقبلية في الإسلام أمر مشروع تقتضيه مصالح العباد في الخير والشر اطلاقاً من فائدة : إذا عظمت المصلحة أوجبها الرب في كل شريعة . وكذلك إذا عظمت المفسدة حرمها في كل شريعة ، وإن تفاوتت رتب المصالح والمفاسد .

-ترسيخ قاعدة ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب ؛ حيث إن في الدراسات المستقبلية حماية للأمة ، وحسن تدبير لها ، وإعداد للعدة على مواجهة ما تحتاجه.

-الوقوف على أن إعداد الدراسات المستقبلية اللازمة رعاية لمصالح الامة من مسئوليات الدولة واهتمامات الحاكم.

-التأكيد على ضرورة معرفة الواقع المعيش معرفة حقيقية كركيزة أساسية للدراسة المستقبلية.

- بيان أهمية أسلوب التدرج في الدراسة المستقبلية للوصول للهدف المنشود.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة:

المقدمة بها:

أهمية الموضوع وأهدافه. والدراسات السابقة والجديد في هذه الدراسة و منهج البحث وخطته.

التمهيد : اهتمام القرآن الكريم بالمستقبل.

وتحته مطلب :

المطلب الأول : لفت الأنظار إلى اليوم الآخر والإيمان به.

المطلب الثاني : الاعتبار بعاقبة الأمور.

المطلب الثالث : الحث على العمل من أجل المستقبل القريب والبعيد.

المطلب الرابع : النهى عن الأماني الفارغة.

المبحث الأول : وسائل استشراف المستقبل.

وتحته مطلب:

المطلب الأول : النظر إلى سنن الحياة . وتحته فروع:

الفرع الأول : سنة الابتلاء.

الفرع الثاني : سنة التداول.

الفرع الثالث: سنة التدافع بين الحق والباطل.

الفرع الرابع : سنة الاستدراج.

المطلب الثاني : قانون الأسباب والمسببات . وتحته فروع:

الفرع الأول : الجزاء من جنس العمل .

الفرع الثاني : الصلاح الدنيوي مبنى على الصلاح الديني.

الفرع الثالث :. صلاح الجماعة مرتبط بصلاح الفرد

المطلب الثالث : التفاؤل والكهانة . وتحته فروع:

الفرع الأول : مشروعية التفاؤل .

الفرع الثاني : الفرق بين التفاؤل والطيرة

الفرع الثالث : معنى الكهانة وحكمها وأنواعها.

المبحث الثاني : صناعة المستقبل في ضوء القرآن الكريم . وتحته مطلب:

المطلب الأول : تحقيق الإرادة وتشمل الأهداف والاخلاص والعزيمة.

المطلب الثاني : بذل الجهود ويشمل الصبر والاحسان

المبحث الثالث : التطلعات المستقبلية في القرآن الكريم . وتحته مطلب :

:

المطلب الأول : البناء النفسي والعقلي.

المطلب الثاني : تنمية الصفات الانسانية.

الدراسات السابقة :

توجد دراسات عديدة تناولت موضوع الدراسات المستقبلية لكن جميعها بعيدة تماماً عن بحثنا هذا ، فالبعض تناول دراسة المستقبل من منظور سياسي ، والبعض الآخر تناولها من منظور فني ، وآخر من منظور تربوي ، وأخر تناولها من حيث التأصيل لمفهومها وأساليبها وأهدافها ، والبعض تناولها من منظور إسلامي.

وحتى الذين تناولوها من منظور إسلامي تناولها بشكل نظري بحت بعيد تماماً عن الاستقراء والتحليل واستنباط الأبعاد الدلالية لنصوص القرآن الكريم.

الاستفادة من البحث:

-تعد الدراساتُ المستقبليةُ: جهدا علميا مُ نظَّما ، يَسعى إلى تحديدِ احتمالاتٍ وخياراتٍ مختلفةٍ مشروطةٍ لمستقبلِ قضيةٍ ما من القضايا بأساليبَ متنوعة، اعتمادًا على دراساتٍ عن الحاضرِ والماضي، وتارةً بابتكارِ أفكارٍ جديدةٍ منقطعةِ الصلةِ عنهما.

-تميز منهج القرآن الكريم عن غيره من المناهج العقلية في دراسة المستقبل بزيادة أساليب أخرى رصينة، منها: الوحي، والدعاء، والرؤى.

-اتضح أن للأنبياء فقهًا مستقبليًّا، ليس بمعنى أنهم يعلمون بالوحي ما في غد، وإنما يعملون للغد الدنيوي، ويخططون له، وفق سنن الله الكونية، وعن رؤية مستقبلية واضحة.

- للمنهج الإسلامي - في استشراف المستقبل والعمل له- ملامح متميزة، رصينة، تَعرف لكل ذي حق حقه، ولا تتجاوز الحدود الشرعية.

-للدراسات المستقبلية الإسلامية أهداف متعددة، أعلاها: هداية الناس، وتحقيق سعادتهم في الدنيا والآخرة.

أهداف البحث:

١- بيان أن الدراسة المستقبلية في الإسلام أمر مشروع تقتضيه مصالح العباد في الخير والشر اطلاقاً من فائدة : إذا عظمت المصلحة ، أوجبها الرب في كل شريعة . وكذلك إذا عظمت المفسدة ، حرمها في كل شريعة ، وإن تفاوتت رتب المصالح والمفاسد .

٢- ترسيخ قاعدة ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب ؛ حيث إن في الدراسات المستقبلية حماية للأمة ، وحسن تدبير لها ، وإعداد للعدة على مواجهة ما تحتاجه.

٣- الوقوف على أن إعداد الدراسات المستقبلية اللازمة رعاية لمصالح الامة من مسئوليات الدولة واهتمامات الحاكم.

٤- التأكيد على ضرورة معرفة الواقع المعيش معرفة حقيقية كركيزة أساسية للدراسة المستقبلية.

٥- بيان أهمية أسلوب التدرج في الدراسة المستقبلية للوصول للهدف المنشود.

التمهيد : اهتمام القرآن الكريم بالمستقبل.

وتحته مطالب :

المطلب الأول : لفت الأنظار إلى اليوم الآخر والإيمان به.

المطلب الثاني : الاعتبار بعاقبة الأمور.

المطلب الثالث: الحث على العمل من أجل المستقبل القريب والبعيد

المطلب الرابع : النهى عن الأماني الفارغة.

المطلب الأول : لفت الأنظار إلى اليوم الآخر والإيمان به.

اهتم القرآن الكريم اهتماماً بالغاً بالحديث عن اليوم الآخر ، وفصلت آياته ما فيه من أحداث تفصيلا ، وتكرر ذكر الموت في القرآن نحواً من خمس وستين ومائة مرة .

مظاهر الاهتمام باليوم الآخر في القرآن الكريم :

تجلت مظاهر اهتمام القرآن باليوم الآخر في عدة أمور :

- الإيمان باليوم والإيمان بالله :

جعل الله الإيمان باليوم الآخر وما فيه من حساب وجزاء قرين الإيمان بالله – سبحانه وتعالى في كثير من الآيات .

من ذلك :

﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾ [١]

﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴾ [٢]

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [٣]

﴿ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾ [٤]

---

١ البقرة: ١٧٧
٢ النساء: ٣٩
٣ الأحزاب: ٢١
٤ الطلاق: ٢

والإيمان باليوم الآخر أحد أركان الإيمان الستة الواجب الإيمان بها بها كما في جاء في سؤال جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان ، وذكر فيه أن من أركان الإيمان : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر [١]

كثرة أسمائه :

لما كان ليوم القيامة أهوال عظيمة سماها الله في كتابه بأسماء كثيرة تدل على عظمة هذا اليوم وعظم ما يقع فيه .

فمن أسمائها : يوم الدين: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [٢] ﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [٣] ﴿ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾ [٤]

يوم القيامة: ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ [٥] ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ﴾ [٦] ﴿ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴾ [٧] ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [٨]

وفي تسميتها بذلك أقوال.

---

١ صحيح البخاري كتاب الإيمان باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان والساعة ١٩/١ دار طوق النجاة الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ ولفظه: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، وبلقائه، ورسله وتؤمن بالبعث وصحيح مسلم كتاب الإيمان باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة٣٦/١ دار إحياء التراث العربي - بيروت واللفظ له .

٢ الفاتحة: ٤

٣ الحجر: ٣٥

٤ الشعراء: ٨٢

٥ آل عمران: ١٨٠

٦ المؤمنون: ١٦

٧ الفرقان: ٦٩

٨ الزمر: ١٥

الأول: لوجود هذه الأمور فيها.

الثاني : لقيام الخلق من قبورهم إليها. قال الله تعالى ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴾[١]

الثالث: لقيام الناس لرب العالمين كما روى مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم يقوم الناس لرب العالمين قال قال يوم يقوم أحدكم في رشحه إلى نصف أذنيه.[٢]

الرابع: لقيام الروح والملائكة صفاً. قال الله تعالى ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ﴾[٣]

يوم الحسرة: (﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

وذلك أن المحسن إذا رأى جزاء إحسانه والكافر جزاء كفره ندم المحسن أن لا يكون مستكثراً، وندم المسيء أن لا يكون استعتب، فإذا صار الكافر إلى عذاب لا نفاد له تحسر، فلذلك سمي يوم الحسرة.

يوم البعث: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٤]

يوم الفصل: ﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴾[٥]

يوم التلاق: ﴿ يُلْقِي ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴾[٦]

وهو أنواع أربعة:

---

١ المعارج: ٤٣.

٢ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب في صفة يوم القيامة أعاننا الله على أهوالها ٢١٩٥/٤

٣ النبأ: ٣٨

٤ الروم: ٥٦

٥ النبأ: ١٧

٦ غافر: ١٥

الأول: لقاء الأموات لمن سبقهم إلى الممات فيسألونهم عن أهل الدنيا

والثاني: عمله .

الثالث: لقاء أهل السموات لأهل الأرض في المحشر .

الرابع : لقاء الخلق للباري سبحانه وتعالى وذلك يكون في عرصات القيامة القيامة وفي الجنة.[١]

يوم الآزفة : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [٢]

والآزفة : القريبة . وهي قريبة لأنها آتية لا محالة ، وكل آت قريب .

يوم الحساب: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾ [٣]

يوم التناد: ﴿ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴾ [٤]

ففي تلك اليوم ينادي أهل الجنة أهل النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، حقاً، وينادي أهل النار أهل الجنة أن أفيضوا علينا من الماء ، وينادي أهل أهل النار بالويل والثبور وقيل: إن تلك نداء بعض الناس لبعضهم في المحشر المحشر .[٥]

يوم الجمع : ﴿ لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [٦]

---

١ التذكرة : ٥١٤ .
٢ غافر: ١٨
٣ ص : ٢٦
٤ غافر : ٣٢
٥ التذكرة : ٥١٤ .
٦ الشورى: ٧

ومنها : القارعة ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ ﴾ [١]

وسميت بذلك لأنها تقرع القلوب بأهوالها . يقال: قد أصابتهم قوارع الدهر أي أهواله وشدائده.

قال القرطبي بعد أن ساق عددا من أسماء يوم القيامة : ولا يمتنع أن تسمي غير ما ذكرنا بحسب الأحوال الكائنة فيه من الازدحام والضيق واختلاف الأقدام لخزي والهوان والذل والافتقار والصغار والانكسار ويوم ويوم الميقات والمرصاد إلى غير ذلك من الأسماء،[٢]

- الإيمان باليوم الآخر دعوة الأنبياء لأقوامهم :

دعا أنبياء الله أقوامهم إلى الإيمان باليوم الآخر : فعلى لسان نوح عليه السلام ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾ [٣]

ونبي الله إبراهيم دعت قومه إلى يوم الدين بمناجاته لربه قائلاً :

﴿ وَٱلَّذِيٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ [٤]

وأخبر الله نبيه موسى عليه السلام بأن الساعة آتية لا محالة بقوله :

﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ [٥]

---

١ القارعة: ١ ـ ٥

٢ التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي ٥٧٩ دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ .

٣ نوح: ١٧ ـ ١٨

٤ الشعراء: ٨٢

٥ طه: ١٥

أما نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم فقد جادل قومه في إثبات اليوم الآخر وما فيه ، وساق لهم من الأدلة والآيات على قدرة الله على البعث مما حفلت به آيات الكتاب العزيز .

وكلت شبههم كلها تعود إلى ثلاثة أنواع :

أحدها : اختلاط أجزائهم بأجزاء الأرض على وجه لا يتميز ولا يحصل معها تميز شخص عن شخص.

الثاني : أن القدرة لا تتعلق بذلك .

الثلث أن ذلك أمر لا فائدة فيه أو إنما الحكمة اقتضت دوام هذا النوع الإنساني شيئا بعد شيء هكذا أبدا كلما مات جيل خلفه جيل آخر فأما أن يميت النوع الإنساني كله ثم يحيه بعد ذلك فلا حكمة في ذلك .

فجاءت براهين المعاد في القرآن مبنية على ثلاثة أصول: أحدها: تقرير كمال علم الرب سبحانه كما قال في جواب من قال ﴿ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾[1] وقال ﴿ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[2] وقال ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ ﴾[3].

والثاني: تقرير كمال قدرته كقوله ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ﴾[4] ، وقوله ﴿ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴾[5] وقوله

---

١ يس: ٧٨ ـ ٧٩
٢ الحجر: ٨٥ ـ ٨٦
٣ ق: ٤
٤ يس: ٨١
٥ القيامة: ٤

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [١] ويجمع سبحانه سبحانه بين الأمرين كما في قوله ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [٢].

الثلث : كمال حكمته كقوله ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾ [٣] وقوله ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ﴾ [٤] وقوله ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ [٥] وقوله ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [٦] وقوله {﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [٧]

ولهذا كان الصواب أن المعاد معلوم بالعقل مع الشرع وأن كمال الرب تعالى تعالى وكمال أسمائه وصفاته تقتضيه وتوجبه، وأنه منزه عما يقوله منكروه منكروه كما ينزه كماله عن سائر العيوب والنقص [٨]

---

١ الحج: ٦
٢ يس: ٨١
٣ الأنبياء: ١٦
٤ ص: ٢٧
٥ القيامة: ٣٦
٦ المؤمنون: ١١٥
٧ الجاثية: ٢١
٨ الفوائد لابن القيم ص ٧ ط دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الثانية، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.

المطلب الثاني : الاعتبار بعاقبة الأمور.

حذرت آيات القرآن من مصائر الأمم السالفة والقرون البائدة ، حيث كذبوا واغتروا فآتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، وبينت الآيات أن الأمور كلها ترجع إلى الله بالعاقبة .

قال تعالى : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ [١] ، ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [٢].

ودعا إلى السير في الأرض والاعتبار بما وقع للأمم في قوله : {﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [٣]

قال القرطبي: "المعنى قد خلت من قبلكم سنن يعني بالهلاك فيمن كذب قبلكم قبلكم كعاد وثمود والعاقبة آخر الأمر وهذا في يوم أحد يقول فأنا أمهلهم وأملي لهم وأستدرجهم حتى يبلغ الكتاب أجله يعني نصره النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وهلاك أعدائهم الكافرين. [٤]

وفي آيات كثيرة في القرآن بيان لصنوف العذاب وألوانه التي انتقم الله بها بها من المكذبين الضالين ، فقد أخذ الله قوم نوح بالطوفان وأغرقهم بخطيئاتهم بخطيئاتهم ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴾ [٥]

---

١ الإسراء: ١٧
٢ آل عمران: ١١
٣ آل عمران: ١٣٧
٤ [تفسير القرطبي ٢١٦/٤].
٥ نوح: ٢٥

وعذب فرعون وجنده بالغرق في اليم ﴿فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ ﴾ [١]، ﴿ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ [٢]

وهؤلاء قوم عاد لما كذبوا رسولهم أرسل الله عليهم الريح العقيم فما أبقت أبقت منهم أحدا ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ ﴾ . [٣]

وكانت الصيحة العظيمة التي خلعت القلوب عذاب قوم صالح ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ ﴾ [٤].

وجعل الله الحاصب حظ قوم لوط جزاء أفعالهم وتكذيبهم وقال: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ ﴾ [٥] وهو قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ ﴾ [٦]

وقوله تعالى وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ إشارة إلى تأكيد وقوع العذاب بكل ظالم مهما كان.

ومن العذاب التي أشارت إليها آيات القرآن للاعتبار والعظة : الخف والجوع والعطش والخوف والخف والمرض وغير ذلك " وما يعلم جنود ربك جنود ربك إلا هو " [٧]

---

١ الأعراف: ١٣٦
٢ الأنبياء : ٧٧ و الزخرف: ٥٥
٣ القمر: ١٩
٤ القمر: ٣١
٥ القمر: ٣٤
٦ هود: ٨٢ - ٨٣
٧ سورة المدثر ، الآية ٣١ .

قال ابن القيم: وقد جعل الله سبحانه أعمال البر والفاجر مقتضيات لآثارها في لآثارها في هذا العالم اقتضاء لا بد منه، فجعل منع الإحسان والزكاة والصدقة والصدقة سبباً لمنع الغيث من السماء والقحط والجذب، وجعل ظلم المساكين المساكين والبخس في المكاييل والموازين وتعدي القوي على الضعيف سبباً لجور سبباً لجور الملوك والولاة الذين لا يرحمون إن استرحموا، ولا يعطفون إن إن استعطفوا، وهم في الحقيقة أعمال الرعايا ظهرت في صور ولاتهم، فإن فإن الله سبحانه بحكمته وعدله يظهر للناس أعمالهم في قوالب وصور تناسبها، فتارة بقحط وجدب، وتارة بعدو، وتارة بولاة جائرين، وتارة بأمراض عامة، وتارة بهموم والآم وغموم تحضرها نفوسهم، لا ينفكون عنها، وتارة بمنع بركات السماء والأرض عنهم، وتارة بتسليط الشياطين الشياطين عليهم تؤزهم إلى أسباب العذاب أزاً، لتحق عليهم الكلمة وليصير كل وليصير كل منهم إلى ما خلق له، والعاقل يسّير بصيرته بين الأقطار العالم العالم فيشاهده، وينظر مواقع عدل الله وحكمته.[1]

ومع وقوع الصراع الدائم بين أهل الإيمان وأهل الكفر يحتاج المسلمون إلى ما يقوي عزائمهم ويشد أزرهم ، فجاءت الآيات الكريمة ترفع الناحية المعنوية وتؤكد حقيقة إلهية وسنة جارية وهي أن المؤمنين هم الأعلون .

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾[2] فلا تبالوا أيها المؤمنون بأعدائكم ، ولا يغرنكم كثرتهم وقوتهم ، ولا يحملكم ما ما أصابكم منهم من
الهزيمة في أحد على ترك جهادهم .

---

١ زاد المعاد ٣٦٣/٤
٢ آل عمران: ١٣٩

فلا تضعفوا ولا تجبنوا يا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم عن جهاد أعدائكم لما أصابكم ولا تحزنوا على ما أصابكم من الهزيمة والمصيبة في في معركة أحد وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ أي فلكم النصر في العاقبة إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ فإن فإن الإيمان يوجب قوة القلب ومزيد الثقة بالله تعالى وعدم المبالاة بأعدائه.[١].

وهي دعوة لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعد أحد ، وهذه الدعوة سارية لكل المؤمنين ممن أصابه مثل ما أصابهم إلى يوم القيامة .

فقدقضت سنةالله تعالى أن نصره للمؤمنين لا يتخلف أبداً .

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [٢]

أي هذه سنةالله تعالى وعادته في خلقه : ما تقابل الكفر والإيمان في موطن موطن فيصل إلا نصر الله الإيمان على الكفر فرفع الحق ووضع البطل كما فعل الله كما فعل الله تعالى يوم بدر كما قال الحافظ ابن كثير . [٣]

وقال جل وعلا : ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [٤] فقد كتب الله في كتابه وقدر في وعده الذي لا يخلف ولا يتبدل أن النصر والغلبة والغلبة لرسله وأوليائه كما قال ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ [٥]

---

١ راجع : تفسير ابن كثير ٤٠٨/١ وأحكام القرآن للقرطبي ٢١٧/٤، وروح المعاني للآلوسي ٦٥/٤

٢ الفتح: ٢٢ ـ ٢٣

٣ تفسير ابن كثير ، ج٤ ، ص ١٩٢ .

٤ المجادلة: ٢١

٥ غافر: ٥١

وهذه سنة الله تعالى في خلقه في قديم الدهر وحديثه أنه ينصر عباده المؤمنين في الدنيا ويقرّ أعينهم ممن آذاهم . وقال السدّي لم يبعث الله عز وجل رسولاً قط إلى قوم فيقتلونه ، أو قوماً من المؤمنين يدعون إلى الحق فيقتلونهم فينهب تلك القرن حتى يبعث الله تبارك وتعالى لهم من ينصرهم فيطلب بدمائهم ممن فعل تلك بهم في الدنيا ، قال السدي : فكانت الأنبياء والمؤمنين يقتلون في الدنيا وهم منصورون فيها .

ومعنى تلك أن المؤمنين وهم أهل الحق هم المنصورون وإن قتلهم أهل البطل البطل وانتصروا عليهم في الظاهر إلا أن العاقبة والغلبة للمؤمنين ولو بعد بعد حين ، حيث يأتي من يعاقب المبطلين ويقتلهم جزاء ما فعلوه بأهل الحق ، الحق ، وهذا علامة على اندحار أهل البطل وغلبة أهل الحق عليهم . [١]

١ تفسير ابن كثير ، ج٤ ، ص ٨٣ ـ ٨٤ .

المطلب الثالث: الحث على العمل من أجل المستقبل القريب والبعيد

جاءت آيات القرآن داعية المسلمين في كل زمان إلى المسارعة والمسابقة إلى العمل ، قبل أن يفوتهم الوقت ، ويندموا على ما ضيعوا بسبب التكاسل والدعة .

فدعاهم الله إلى المسارعة والمسابقة إلى ما يوجب مغفرته وجنته في قوله ﴿ قوله ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [1] وقال : ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [2]

آيتان تدعوان إلى المسابقة إلى المغفرة والجنة، والمسارعة إليهما، ورغم اتحادهما في موضوعهما إلا أن كل واحدة منهما حملت من المعاني ومظاهر الإعجاز ما اختلفت به عن أختها

ففي الآية الأولى قال سبحانه وَسَارِعُوٓاْ وفي الثانية قال سَابِقُوٓاْ ،وفي الآية الأولى قال سبحانه} :وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ ، وفي الثانية قال : وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ، وجاءت السماء بلفظ المفرد، في كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ، بينما جمعت في الثانية ٱلسَّمَٰوَٰتُ .

وفي الآية الأولى قال سبحانه أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ وفي الثانية قال}:أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ

قال ابن الزبير الغرناطي في تفسيره :

---

١ آل عمران: ١٣٣.
٢ الحديد: ٢١ .

والمراد في الموضعين الحث على المبادرة إلى أفعال البر وجزيل الثواب الثواب للممتثل ، وقد اختلفت عبارة الأمر بذلك في الموضعين ، فحذف المضاف في الأولى وجيء في الثانية بكاف التشبيه عوضا منه ، وقيل في في الأولى: "عرضها السماوات " على الجميع وأفرد في الثانية فقيل: "عرضها كعرض السماء والأرض " ....والمسارعة إلى الشيء قبل مسابقته مسابقته قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾ [1] ووجه تقديم لفظ "سارعوا " تقديم المسارعة ووجه تأخير سابقوا بناء المسابقة على المسارعة، ألا ترى أن المسارع إلى الشيء قد يصل له ما سارع إليه وقد لا وقد لا يصل ولا يقال في الغالب سبق إلا فيمن تصل له مطلوبه هذا هو هو الأكثر والمسارعة متقدمة في الرتبة قال تعالى: "أولئك يسارعون في في الخيرات وهم لها سابقون " وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ [2]

أي ثبتت وحقت لهم .[3]

ومما يدخل في المسارعة والمسابقة إلى العمل للمستقبل القريب والبعيد اغتنام الخمس ، فعلى المسلم أن يبادر إلى اغتنام الشباب والصحة والغنى والفراغ والحياة قبل زولهم وحلول أضدادهم

فعن ابن عباس، رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم لرجل وهو يعظه: " اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك

---

١ المؤمنون: ٦١

٢ الأنبياء: ١٠١

٣ ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل ص٩٠/١ ط دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

وصحتك قبل سقمك، وغناءك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك قبل موتك [١]

وفائدة المبادرة بالعمل إمكانه قبل شغل البال والحشد بالفتن، وقطعها عن العمل.[٢]

قال القسطلاني : فالعاقل إذا أمسى لا ينتظر الصباح وإذا أصبح لا ينتظر المساء بل يظن أن أجلهُ يدركه قبل ذلك فيعمل ما يلقى نفعه بعد بعد موته ويبادر أيام صحته بالعمل الصالح فإن المرض قد يطرأ فيمنع من من العمل فيخشى على من فوط من ذلك أن يصل إلى المعاد بغير زاد فمن لم فمن لم ينتهز الفرصة يندم [٣]

وفي القرآن صور لتبدل الحال وتغيره من اليسر إلى العسر ومن الضيق بعد الرزق :

قال تعالى: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [٤]

روى الحاكم في مستدركه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ هذه الآية الآية أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ

---

١ المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ٣٤١/٤ ط دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠وقال :ا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي

٢ إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض ٤٠٥/١ ط دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

٣ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٢٣٨/٩ ط المطبعة الكبرى الأميرية، مصر الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ.

٤ البقرة: ٢٦٦

فَٱحْتَرَقَتْ فسأل عنها القوم، وقال: فيما ترون أنزلت ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾ ؟

فقالوا: الله ورسوله أعلم.

فغضب عمر. وقال: قولوا نعلم أو لا نعلم!

فقال ابن عباس: في نفسي شيء منها يا أمير المؤمنين!

قال: يا ابن أخي، قل! ولا تحقر نفسك!

قال ابن عباس: ضُرِبت مثلا لعمل.

فقال عمر: لرجل غني يعمل بالحسنات، ثم بعث الله له الشيطان فيعمل بالمعاصي، حتى أغرق أعماله كلها.[1]

وقال في شأن قوم آخرين :

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾[2]

وهذا الحدث هنا، هو المثل الذي ضربه الله لمن يعقل، ويعتبر، ويأخذ من مضرب المثل عظة وعبرة..

والمثل المضروب هنا، هو تلك القرية التي كانت آمنة مطمئنة، بما يسوق الله إليها من نعم.. فبطرت معيشتها، وكفرت بأنعم الله

وقد اختلف المفسّرون في هذه القرية.. أهي قرية من قرى الأولين التي أهلكها الله ودمدم على أهلها؟ أم هي مكة..

---

١ المستدرك ٣١١/٢ وقال حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه " ووافقه الذهبي .

٢ النحل: ١١٢

والذي نميل إليه هو أن هذه القرية هي واحدة من تلك القرى التي أهلكها الله، الله والتي أشار إليها الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾[١].. وبقوله سبحانه: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾[٢]وبقوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[٣]فأية قرية من تلك القرى لظالمة التي أهلكها الله بظلمها، والتي عرف المشركون المشركون أخبارها وما حلّ بأهلها– أية قرية من تلك القرى صالحة لأن تكون تكون المثل المضروب لأهل مكة.. يرون في مخلّفاتها العبرة والعظة، إن كانوا إن كانوا يعتبرون ويتعظون.. فلقد عرف مشركو قريش ما حلّ بالقرى التي التي حولهم من عذاب الله. فيما قصّ عليهم سبحانه وتعالى من أخبار «سبأ» «سبأ» في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾[٤].

فهذه القرية– مثلا– كانت– كما قص القرآن الكريم من أخبارها– في حياة حياة طيبة، يأتيها رزقها رغدا من كل مكان، تفّ بها الجنات عن يمين وشمال، فأكل أهلها من رزق الله، ولم يشكروا له، بل كفروا بنعمه، ومكروا ومكروا بآياته، فأخذهم بالبأساء والضرّاء، وبدّلهم بجنتيهم ذواتى الثمر الطيب، والخير الموفور، أرضا قفرا لا تمسك إلا ببقايا حياة باهتة من شجر لا

١ الأنبياء: ١١..
٢ الكهف: ٥٩
٣ الحج: ٤٨
٤ سبأ: ١٥ ـ ١٧

شجر لا يعطى إلا خسيس الثمر، وقليله..! وهكذا كل من يكفر بنعم الله، ويمكر ويمكر بآلائه.

– وفي قوله تعالى: «فَأَذاقَهَا اللَّهُ لِباسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ» إشارة إلى ما حلّ حلّ بهذه القرية الظالمة من بلاء، وما وقع عليها من بأس الله إذ جاءها، فقد فقد بدل الله أمنها وطمأنينتها، جوعا دائما وخوفا متصلا، حتى لقد اشتمل اشتمل عليها الجوع والخوف، كما يشتمل الثوب على الجسد ويحتويه، وحتى وحتى أنه كلما بلى هذا الثوب، ألبسهم الله ثوبا غيره.. وهكذا، لا يخلعون ثوبا إلا لبسوا غيره، ليذوقوا العذاب، بما كانوا يصنعون..[1]

ووجه القرآن إلى محافظة الآباء على مستقبل أبنائهم في قوله تعالى ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾[2] فمن خاف على مستقبل أبنائه بعد موته فليتق الله في في حياته ، فتقواه وصلاحه تكون سببا في ذريته من بعده .

وقد اتضح ذلك في قصة الغلامين والجدار ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَـٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾[3]

قال ابن كثير : وكان أبوهما صالحا فيه دليل على أن الرجل الصالح يحفظ في يحفظ في ذريته وتشمل بركة عبادته لهم في الدنيا والآخرة بشفاعته فيهم، فيهم، ورفع درجتهم إلى أعلى درجة في الجنة، لتقر عينه بهم، كما جاء في القرآن ووردت به السنة. قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: حفظا بصلاح أبيهما، ولم يذكر لهما صلاحا[4]

---

١ التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب ٧/ ٣٨٤ -٣٨٥ ط دار الفكر العربي - القاهرة

٢ النساء: ٩.

٣ الكهف ٨٢.

٤ تفسير القرآن العظيم ١٦٨/٥ ط دار الكتب العلمية الأولى - ١٤١٩ هـ.

المطلب الرابع : النهي عن الأماني الفارغة

في ظل المحافظة على المسلم وسلامة عقيدته جاءت آيات القرآنية تبين له الوعد الحق الصادق من الوعد الباطل الكاذب ، فالله يعدهم بالمغفرة والفضل ووعد الله لا خلف فيه ، والشيطان يمنيهم بالوعود الباطلة ويعدهم بالأماني الكاذبة الفارغة

﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴾[1]

أي: يعد الناس الفقر إذا هم أنفقوا شيئا من أموالهم في سبيل الله، وها هنا حذف مفعول الوعد فهو يشمل الوعد بالفقر ويشمل غيره من وعوده التي يوسوس بها، فإنه إذا كان يعد من يريد الصدق الفقر ويوسوس إليه قائلا: إن مالك ينفد أو يقل فتكون فقيرا ذليلا، فإنه يسلك في الوسوسة إلى من يغريه بالقمار مسلكا آخر فيعده الغنى والثروة، وكذلك يعد من يغريه بالتعصب لمذهبه وإيذاء مخالفه فيه من أهل دينه الجاه والشهرة وبعد الصيت، ويؤيد وعوده الباطلة بالأماني الباطلة يلقيها إليه ...

ويدخل في وعد الشيطان وتمنيته ما يكون من أوليائه من الإنس، وهم قرناء قرناء السوء الذين يزينون للناس الضلال والمعاصي ويعدونهم بالمال والجاه، والجاه، ويمدونهم في الطغيان.[2]

---

١ البقرة: ٢٦٨

٢ تفسير المنار ٥/ ٣٥١

﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [1]

وقد ضرب الله المثل بغوايته ووعوده الكاذبة حين أغوى آدم وزوجه بالأكل من الجنة ، ومناهما الأماني الكاذبة إن هما اكلا من الشجرة .

فقد كاد لهما بالأيمان الكاذبة: أنه ناصح لهما، وأنه إنما يريد خلودهما فى فى الجنة، قال تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [2] والوسوسة: حديث الفس والصوت الخفى، الخفى، وبه سمى صوت الحلى وسواسا، ورجل موسوس بكسر الواو، ولا ولا يفتح فإنه لحن، وإنما قيل له: موسوس؛ لأن نفسه توسوس إليه، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ . [3]

وعلم عدو الله أنهما إذا أكلا من الشجرة بدت لهما عوراتهما، فإنها معصية، والمعصية تهتك ستر ما بين الله وبين العبد، فلما عصيا انهتك ذلك الستر فبدت لهما سوآتهما فالمعصية تبدى السوأة الباطنة والظاهرة، ويتجلى ذلك في يوم القيامة حين يتبرأ الشيطان من وعوده وأعوانه ، ويلقى باللائمة عليهم في متابعته .

﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا

---

١١ النساء: ١٢٠

٢ الأعراف: ٢٠ ـ ٢١

٣ ق: ١٦.

تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [1]

وفي الآية من الإيجاز البليغ شبه الاحتباك. حيث حذف أولا (فوفى به) لدلالة قوله بعد فَأَخْلَفْتُكُمْ عليه لأنه مقابله، وحذف ثانيا (وعد البطل) لدلالة وَعْدَ الْحَقِّ.

وَما كانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ أي حجة وبرهان إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي أي: أسرعتم لطاعتي بمجرد تلك، أي وقد أقامت عليكم الرسل الحجج والأدلة الصحيحة على صدق ما جاءوكم به، فخالفتموهم فصرتم إلى ما أنتم فيه فَلا تَلُومُونِي أي: بوعي إياكم، إذ لم يكن بطرق القسر وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ أي: حيث استجبتم لي باختياركم، حين دعوتكم بلا حجة ولا دليل. ولم تستجيبوا ربكم، إذ دعاكم دعوة الحق المقرونة بالبراهين والحجج.

ان هدي القرآن الكريم يركز على اهمية العناية بالمستقبل و حسن التخطيط له وذلك من خلال محاسبة النفس وتدبر احوالها ونهيها عن غيها وفي ذات الوقت ضرورة معرفة قدرها وحجمها وحدودها حتى لا يغرق المرء في الوهم ويجد نفسه في وسط مجموعة من الاماني الفارغة التي تسهم في القضاء على النجاح وتمهد للفشل من اقرب الطرق و ايسرها وفي ذات الوقت تبرر للفاشل حاله.

ومن ثم جاءت نصوص القرآن الكريم واضحة في النهي عن الاماني الفارغة باعتبارها

---

١ إبراهيم: ٢٢

اداة فتاكة في القضاء على شخصية المرء وتدمير حياته ومسخ هويته فيصبح المرء اسير الشهوات عبد الملذات تتلقفه الشياطين

فالأماني الفارغة من الأدواء القاتلة التي تغتال حركة الإنسان بدون أن يشعر. وهي أهم سلاح الشيطان في فتك إرادة الإنسان وكسر تَوجُّهه نحو الخير. لذلك أخبر تعالى أن الشيطان أقسم أن يرسل هذا الداء العضال لإجهاض كل إرادة للخير ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ ﴾[1] وهذا شغل الشيطان بالناس ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾[2] والشيطان دائما يصوّر للإنسان عواقب سيئة جراء أي عمل صالح ؛ فالإنفاق يأتي بالفقر، والجهاد يسبب الموت وهكذا. قال تعالى: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[3]

١ النساء: ١١٩
٢ النساء: ١٢٠
٣ البقرة: ٢٦٨

المبحث الأول : وسائل استشراف المستقبل.

وتحته مطالب:

المطلب الأول : النظر إلى سنن الحياة .

المطلب الثاني : قانون الأسباب والمسببات .

المطلب الثالث : التفاؤل والكهانة.

المطلب الأول : النظر إلى سنن الحياة .

من الامور التي ينبغي الالتفات اليها والعناية بها السنن الكونية المستقاة من منظور القرآن الكريم باعتبارها من الواجبات العظيمة التي ينبغي للدعاة إلى الله تعالى أن يلموا بها ويعرفوها؛ ليستفيدوا منها في تفسير الأحداث وبالتالي لتوظيف هذه المعرفة في استشراف المستقبل التي ينبغي أن يكونوا عليه، على اعتبار أن هذه السنن تحدث وفق علم الله تعالى وحكمته التي جعلت للأحداث والمتغيرات سننًا لا تتبدل ولا تتحول، وهي متحققة ونافذة على العموم بحيث لا تستثني أحداً ولا تحابي أحداً.

وعليه فعملية استشراف المستقبل تعد عملية منظمة تبدأ من دراسة الماضي الماضي بكل ما فيه من أحداث وسنن لتمر بالحاضر المعاش، ولتقيم الأمة الأمة موقعا بالنظر إلى ذلك، ثم هي مدعوة بأعمال البصر والبصيرة في في استشراف المستقبل التي تشد، ولا تتم هذه العملية بالشكل الصحيح إلا إذا إلا إذا درسنا سنن الله تعالى فيما سبق من الأقوام، ونظرنا إلى التاريخ بعين بعين الناقد البصير. وعليه فان دراسة السنن الإلهية تعتبر الخطوة الأساسية الأساسية الأولى ولا أقول الوحيدة في سبيل استشراف مستقبل زاهر للأمة الإسلامية [١].

وفي الصفحات التالية اعرض لبعض هذه السنن ودورها في استشراف المستقبل وذلك على النحو التالي

---

١ السنن الإلهية في القرآن الكريم ودورها في استشراف المستقبل عماد عبد الكريم خصاونة - خضر إبراهيم قزق مجلة المنارة العدد ١٠ – العدد ٢ – ٢٠٠٩ م –ص ٢١٩ -٢٢٠

الفرع الأول : سنة الابتلاء.

لقد وجه القرآن الكريم أنظار المسلمين الي ضرورة الوعي بالعالم المشاهد ؛ ومن ثم نراه حث اتباعه على النظر والتدبر والاستقراء، وذلك بغية الوقوف على السنن و النواميس التي تحكم الكون ، وكيفية الاستفادة منها في استشراف المستقبل باعتبار ان ذلك يسهم في الكشف عن كيفية التعامل معها و في ذات الوقت نبه إلى كيفية بناء الحضارة والمحافظة عليها من السقوط ، ومن بين هذه السنن سنة الابتلاء التي تعد واحدة من أهم السنن الإلهية التي تعمل على استشراف المستقبل وكيفية الإعداد له .

تعريف الابتلاء

نقل ابن منظور في لسانه : بلوت الرجل وابتليته : اختبرته . وابتلاه الله : امتحنه .

والاسم : البلوى والبلاء . والبلاء : الاختبار يكون في الخير والشر[١]

و جاء في النهاية لابن الأثير : الابتلاء في الأصل الاختبار والامتحان ، يقال : بلوته وأبليته وابتليته . والمعروف أن الابتلاء يكون في الخير والشر معاً من غير فرق بين فعلهما [٢] ومنه قوله تعالى : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ [٣]

وفي المفردات في غريب القرآن للراغب الاصفهاني : بلوته : اختبرته . . وأبليت فلاناً إذا اختبرته . وسمي التكليف بلاء من أوجه (أحدها) أن التكاليف كلها مشاق على الأبدان فصارت من هذا الوجه بلاء . (والثاني)

---

(١) لسان العرب ، ج١٨ ، ص ٩٠ .
(٢) النهاية لابن الأثير ، ج١ ، ص ١٥٥ .
(٣) سورة الأنبياء الآية ٣٥

(والثاني) أنها اختبارات ولهذا قال عزّ وجل : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [١]. (والثالث) أن اختبار الله تعالى للعبد تارة بالمسار ليشكر وتارة بالمضار ليصبر فصارت المحنة والمحنة جميعاً بلاء[٢] بلاء[٢]

وجاء في المعجم الوسيط ابتلاه : جربه وعرفه . والبلاء : الحادث الحادث ينزل بالمرء ليختبره والبلاء الغم والحزن، والبلاء مبالغة الجهد في في الأمر [٣].

فالبلاء هو الاختبار والامتحان للإنسان في حالتي الشدّة والرخاء . ويمكن أن يقال بأنه هو الحادث الذي فيه شدّة ومشقة وينزل بالمرء لغرض اختباره وامتحانه به .

ومفهوم بهذا ينبغي أن يكون محل نظر عند الانسان وموضع اهتمام باعتباره يشتمل على حكم ومنافع وهذا ما يحمل المرء على تدبر هذه السنة حتي يستفيد في قراءة الواقع واستشراف المستقبل

مظاهر الابتلاء

للابتلاء صور ومظاهر متعددة أرشد الإسلام إليها ودعا اتباعه الى التحلي بالصبر عليه ، ووجه المؤمنين إلى ضرورة الرضا بقضاءالله وقدره، وقدره، ووعد الإسلام الصابرين بالأجر العظيم والثواب الجزيل إذا صبروا صبروا عليه ورضوا به فقال تعالى قال تعالى﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [٤] فدل هذا على

---

(١) سورة محمد الآية ٣١
(٢) المفردات في غريب القرآن ، للأصفهاني ، ص ٦١
(٣) المعجم الوسيط ، ج١ ، ص ٧٠ .
٤ البقرة: ١٥٥

أن المصائب المؤلمة في الأنفس أو الأموال أو الثمرات قد تكون نوعًا من من الامتحان للمؤمنين.

ولما وهب الله تعالى الإنسان الإرادة الحرة في هذه الحياة، وضعه موضع موضع الامتحان ليختار بإرادته الخلود في النعيم عن طريق الطاعة، واقتضى واقتضى ذلك أن يقلبه على ألوان وصور وأنواع شتى مما يحبّ ومما يكره يكره ليشكر فيما يحب فلا يطغى ولا يكفر، ويصبر فيما يكره فلا يضجر ولا يضجر ولا يكفر، وما يكره لا بدَّ أن يكون مؤلمًا، وهذا المؤلم يراه الإنسان الإنسان مصيبة ويراه شرًا، لكّنه في الواقع لونٌ من ألوان الامتحان لا بدّ بدّ منه[١].

الحكمة من تلون الابتلاء:

من بين حكمة الله– سبحانه وتعالى – وعظيم شأنه وسعة علمه بخلقه أن أن جعل الابتلاء متعدد المظاهر والألوان، مختلف الأساليب والأشكال، فمنه فمنه الشديد، ومنه دون ذلك بدرجات متفاوتة، ومنه ما يتعلق بالأموال، ومنه ما يتعلق بالأولاد، ومنه ما يتعلق بالجسد، ومنه ما يتعلق بالزوجة، بالزوجة، ومنه ما يتعلق بالأفراد، ومنه ما يتعلق بالأمم[٢].

وقد ذكر القرآن الكريم هذه الأصناف والألوان من الابتلاءات وذكر لذلك لذلك نماذج مختلفة : قال تعالى ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ

---

(١) العقيدة الإسلامية وأسُسُها، عبد الرحمن حسن حبّنكة ٦٨ ط دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت.

(٢) سُنَّة الابتلاء في القرآن الكريم - رجب نصر موسى الأنس اطروحة لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الد راسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، في نابلس، فلسطين. ص ٣٩

وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًاۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾[١]

يقول ابن كثير : قَوْله تَعَالَى " لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالكُمْ وَأَنْفُسكُمْ " كَقَوْلِهِ تَعَالَى " وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ الْخَوْف وَالْجُوع وَنَقْصٍ مِنْ الْأَمْوَال وَالْأَنْفُس وَالثَّمَرَات " وَالثَّمَرَات " إِلَى آخِر الْآيَتَيْنِ . أَيْ لَا بُدّ أَنْ يُبْتَلَى الْمُؤْمِن فِي شَيْء مِنْ مَاله أَوْ نَفْسه أَوْ وَلَده أَوْ أَهْله وَيُبْتَلَى الْمُؤْمِن عَلَى قَدْر دِينه فَإِنْ كَانَ فِي دِينه صَلَابَة زِيدَ فِي الْبَلَاء [٢].

وفي الحديث التي رواه أَبِو هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لا

يَزَالُ الْبَلاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي جَسَدِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ[٣].

الشر والخير كلاهما ابتلاء

معلوم أن الله تعالى خلق هذا الكون ورتب الأشياء الموجودة فيه لهذا الهدف من ابتلاء الناس. فالخير والشر، والغنى والفقر، والقوة و الضعف ، و السعة و الضيق، و السعادة والشقاوة ، والحر والبرد، كل هذه صنوف من الابتلاءات وضعت من الشارع الحكيم من أجل التفريق بين الناس وتمييز الطيب من الخبيث .

وقد مضت سنة الله تعالى في الابتلاء أنه يمتحن عباده بالشر والخير أي يخبرهم أي يخبرهم بما يصيبهم مما يثقل عليهم كالمرض والفقر والمصائب المختلفة كما

---

١ آل عمران: ١٨٦

(٢) ينظر تفسير ابن كير ج١ ص ٤٣٥

(٣) الحديث اخرجه الترمذي في سننه كتاب الزهد :باب ما جاء في الصبر على البلاء، حديث رقم ٢٣٩٩ -و قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح

المختلفة كما يخبرهم بما ينعم عليهم من النعمة المختلفة التي تجعل حياتهم حياتهم في رفاهية ورخاء وسعة العيش كالصحة والغنى ونحو ذلك . ليتبين ليتبين بهذا الامتحان من يصبر في حال الشدّة ومن يشكر في حال الرخاء الرخاء والنعمة ، قال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [1]

والمعني : أي نختبركم بما يجب فيه الصبر من البلايا ، وبما يجب فيه الشكر من الشكر من النعم ، وإلينا مرجعكم فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر الصبر أو الشكر؛ وإنما سمى ذلك ابتلاء وهو عالم بما سيكون من أعمال أعمال العاملين قبل وجودهم ؛ لأنه في صورة الاختبار [٢].

ومن حسن الاختيار أن يرضى المرء بما قدره الله عليه من خير او شر باعتبار كلاهما بلاء.

ابتلاء الناس بالتفاوت فيما بينهم :

من بين صور الابتلاء أيضا الابتلاء بالتفاوت بين الناس في الخلق والرزق والقوة والفضل والعلم والأخلاق والمحاسن والمساوئ والمنظر والأشكال والألوان وغير ذلك.

فمما يمتحن الله به عباده وجرت به سنّته تفاوتهم واختلافهم في المواهب والأرزاق ليظهر مدى قيامهم بما يلزمهم شرعاً من فعل أو ترك نحو أنفسهم أنفسهم وغيرهم بناء على الحالة التي هم عليها وامتازوا بها عن غيرهم

---

١ الأنبياء : ٣٥

(٢) ينظر تفسير الزمخشري ، ج٣ ، ص ١١٦

واختصوا بها من دونهم كالعلم والجاه والمال والمكانة الاجتماعية والسلطان والسلطان وكذلك بناء على فقرهم وضعفهم(١).

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢).

والمعنى : وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات درجات ليبلوكم في ما اتاكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم وهو وهو الذي جعلكم خلائف الارض يعني اهلك اهل القرون الماضية واورثكم واورثكم الارض يا امه محمد صلى الله عليه وسلم من بعدهم فجعلكم خلائف خلائف منهم فيها تخلفونهم فيها وتعمرونها بعدهم والخلائف جمع خليفه كالوصائف جمع وصيفه وكل من جاء بعد من مضى فهو خليفه لأنه يخلفه يخلفه ورفع بعضكم فوق بعض درجات اي خلائف بين احوالكم فجعل بعضكم فوق بعضكم فوق بعض في الخلق والرزق والمعاش والقوه والفضل ليبلوكم في ما في ما اتاكم ليختبركم فيما رزقكم يعني يبتلي الغني والفقير والشريف والوضيع والحر والعبد ليظهر منكم ما يكون عليه من الثواب والعقاب ان ان ربك سريع العقاب لان ما هو ات فهو سريع قريب قيل هو الهلاك في في الدنيا وانه لغفور رحيم قال عطاء سريع العقاب لأعدائه غفور لأوليائه رحيم بهم(٣).

---

(١) السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية د عبد الكريم زيدان ص ٨٤

(٢) سورة الأنعام ، الآية ١٦٥ .

(٣) معالم التنزيل للإمام محي الدين البغوي ج ٣ ص ٢١٢ تحقيق محمد عبدالله النمر و آخرون طبعة دار طيبة ط الاولي ١٤٠٩ – ١٩٨٩ م

ابتلاء المؤمنين بالشدائد

كذلك من صور الابتلاء ما يبتليالله تعالى به عباده المؤمنين وذلك للتمييز للتمييز بين الطيب والخبيث بين الصالح و الطالح قال تعالى ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾(١).

ومما قيل في سبب نزولها انها نزلت في معركة الخندق حين أصاب المسلمين ما أصابهم من الجهد والشدة والبرد وسوء العيش وأنواع الشدائد . الشدائد . وهذا ما ذهب اليه أكثر المفسرين وكان كما قال الله تعالى : (و (و بلغت القلوب الحناجر) (٢).

وقيلت نزلت في أحد وقال بعض المفسرين نزلت الآية تسلية للمهاجرين حين تركوا حين تركوا ديارهم وأموالهم بأيدي المشركين وآثروا رضا الله ورسوله ،و ،و أظهرت اليهود العداوة للرسول صلى الله عليه وسلم و أسر قوم من الاغنياء النفاق فأنزلالله تعالى أم حسبتم تطييباً ، واستدعاهمالله تعالى تعالى إلى الصبر ووعدهم على ذلك بالنصر(٣).

امتحان المؤمنين بأنواع الأذى :

كذلك من بين صور الابتلاء اختبار المؤمنين بأنواع الأذى **قال تعالى :** ﴿ ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢١٤ .
(٢) سورة الاحزاب ، الآية ١٠ .
(٣) تفسير القرطبي ج١ ص ٤١١ تحقيق د عبدالله محسن التركي .

قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [1]

فمن سنةالله تعالى في عباده المؤمنين الداعين إليه المجاهدين في سبيله أن سبيله أن يبتلوا بأنواع البلاء ، يبتلوا في أموالهم بما يطلب منهم من الإنفاق منها في سبيل الله ، وبما يقع فيها من الآفات . ومن البلاء التي يمتحنون به البلاء في أنفسهم بالقتل والجرح والأسر في قتال العدو. ومن ومن البلاء التي يبتلون به على وجه الامتحان وهب مقتضيات سنة الله الله تعالى في الداعين إليه المجاهدين في سبيله ما يسمعون من اهل الكتاب الكتاب والمشركين وغيرهم من الكفرة من أنواع الأذى القولي كالطعن في في الإسلام وفي الدعاة إليه وبإلصاق التهم الباطلة بهم لصدّ الناس عنهم وعن دعوتهم[٢].

ابتلاء المؤمنين بالجهاد :

كذلك من بين سنن الله في خلقه انه تعالى يبتلي عباده المؤمنين بالجهاد وذلك وذلك تمحيصا لهم وتمييزا بين الصادق و الكاذب و المؤمن والمنافق ومن ثم ومن ثم تكون الجنة عن جدارة و استحقاق وهذا مما يفيد في النظرة للمستقبل للمستقبل وحسن استشرافه ، هذه سنةالله عز وجل في أوليائه أنهم لا يظفرون يظفرون بالجنة، أنهم لا ينالون رحمةالله، أنهم لا يصلون إلى ثواب الله حتى حتى يبتلوا قال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [٣].

---

١ آل عمران: ١٨٦

(٢) السنن الالهية في الامم و الجماعات و الافراد د عبدالكريم زيدان ص ٨٧- ٨٨

(٣) سورة آل عمران ، الآية ١٤٢ .

فمن سنة الله أمام هذا الابتلاء أن يبتلي عباده فقط ليرى من يحقق مراد الله عز وجل في هذه الدنيا قال الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية : أحسبتم أن تدخلوا الجنة ولم تمتحنوا بالقتال والشدائد؟ أي لا يصل لكم دخول الجنة حتى تمتحنوا ويرى الله منكم المجاهدين في سبيله والصابرين على والصابرين على مقاومة الأعداء (١).

وبالجملة فالابتلاء سنة كونية تحمل معاني الاستشراف المستقبل ويساعد على ذلك أن هناك عدة حقائق تتعلق بالابتلاء تؤكد هذه المعني وهي على النحو التالي :

١- الإعداد الحقيقي لتحمل الأمانة.

الحقيقة الأولى أن الله تعالى غني عن تعذيب عباده وحاشا له جل جلاله أن يكون هدفه من الابتلاء تعذيب عباده أو إيذاؤهم فهو جل جلاله الرحمن الرحيم خلق عباده ليرحمهم ويسعدهم بمعرفته وعبادته . أما هدف الابتلاء فهو الإعداد الحقيقي لتحمل الأمانة الكبرى والمسؤولية العظمى ، فحمل الأمانة لا يتم إلا بالمعاناة ، وإلا بالاستعلاء الحقيقي على الشهوات ، وإلا بالصبر الحقيقي على الآلام ، وإلا بالثقة الحقيقية في نصر الله أو ثوابه على الرغم من طول الفتنة وشدة الابتلاء فكما تفتن النار الذهب لفصل بينه وبين العناصر الرخيصة العالقة به ، كذلك تصنع الفتن بالنفوس تصهرها فتنفي عنها الخبث.

٢- الابتلاء يكفر الخطايا والذنوب ويرفع عند الله الدرجة.

فمن خلاله يشهد الله لأهله بأن في دينهم صلابة ، وفي عقيدتهم قوة فهو سبحانه يختارهم للابتلاء .

---

(١) تفسير ابن كثير ، ج١ ، ص ٤٠٨ ـ ٤٠٩ .

جاء في الحديث الشريف : عن مصعب بن سعد رحمه الله ، عن أبيه رضي الله عنه رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ، أيُّ الناس أشَدُّ بلاء ؟ قال ((الأنبياءُ ، ثم الأمثلُ فالأمثلُ ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ على حَسْبِ دِينه ، فإن كان دِينُهُ صُلْبا اشتَدَّ بلاؤه ، وإن كان في دِينه رِقَّة على حَسَبِ دِينه ، فما يَبْرَحُ البلاءُ بالعبد حتى يتركَهُ يَمْشِي على الأرض وما عليه خطيئة.

ويقول :

((أشد الناس بلاءً الأنبياء ، ثم الصالحون ، لقد كان أحدهم يُبتلى بالفقر حتى ما يجدُ إلا العباءة يجوبها ، فيلبسها ، ويُبتلى بالقمل حتى يقتلُه ، ولأحدهم كان أشدَّ فرحاً بالبلاءِ من أحدكم بالعطاء))(١).

٣- في فقه الابتلاء أن الله تعالى يمحص الناس في الابتلاء ويفرزهم فيظهر فيظهر نفاق المنافقين وينجلي كذب الكاذبين كما يظهر ثبات الثابتين ويتضح ويتضح إيمان المؤمنين قال تعالى: ﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (٢) .

يقول ابن القيم إن الله سبحانه وتعالى اقتضت حكمته أنه لا بد أن يمتحن يمتحن النفوس ، ويبتليها ، فيظهر بالامتحان طيبها من خبيثها ، ومن يصلح يصلح لموالاته وكرامته ومن لا يصلح ، وليمحص النفوس التي تصلح له ويخلصها له ويخلصها بكير الامتحان كالذهب التي لا يخلص ولا يصفو من غشه إلا إلا بالامتحان ، إذ النفس في الأصل جاهلة ظالمة ، وقد خلق لها بالجهل بالجهل والظلم من الخبث ما يحتاج خروجه إلى السبك والتصفية ، فإن خرج خرج في هذا الدار وإلا ففي كير جهنم ، فإذا هذب العبد ونُقي أُذن له في

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ٩٩/١ دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠ وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٤١

في دخول الجنة ليس أحدٌ أغير على الحق وأهله من الله .. ولكنها سنة الله الله لجارية لامتحان القلوب وتمحيص الصفوف ، قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾(١)

الحقيقة الرابعة في فقه الابتلاء أن الله تعالى من خلال الابتلاء يظهر للناس آياته ويبين لعباده عاقبة الظلم والظالمين ويستخلف عباده الصالحين مهما طالت مدة الابتلاء ولا شك ان هذا موضع نظر و العاقل هو من ينظر الى هذا فيحسن الاستعداد و الاعداد للمستقبل

الفرع الثاني : سنة التداول

اقتضت حكمة الله ومشيئته وقوع التداول بين الأفراد و الأمم و الجماعات ،بمعنى الله تعالى يداول أحوالهم فينقلهم من الشدة الى الرخاء، ومن النصر إلى الهزيمة ، ومن القوة الى الضعف ، ومن العلو الى الدنو، ومن اليسر إلى العسر، ومن العسر إلى اليسر.. وهكذا.

وكل ذلك تمحيصا لمواقفهم وتمييزا لأفعالهم ، وكشفا لمواقفهم وإظهارا لما في صدورهم ، فضلاً عن هذا التأمل والتدبر لاستلهام الدروس والوقوف على الحكم و حسن الاستشراف للمستقبل طالما أن سنته اقتضت أن يكون دوام الحال من المحال.

ومن الآيات التي تشير إلى التداول : ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴾[٢]

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٣]

---

(١) سورة العنكبوت الآية ٣

٢ محمد: ٨.

٣ آل عمران: ٢٦

قال الله تعالى﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (١)

يقول ابن كثير :

وتلك الأيام نداولها بين الناس أي نديل عليكم الأعداء تارة وإن كانت لكم العاقبة لما لنا في ذلك من الحكمة (٢)

فهذه الآيات الكريمة إشارة إلى سنةالله الجارية في« المكذبين، ليقول للمسلمين :إن انتصار المشركين في هذه المعركة ليس هو السنة الثابتة ، إنما هو حادث عابر وراءه حكمة خاصة. فالقرآن الكريم يرد المسلمين هنا إلى سنن الله في الأرض؛ يردهم إلى الأصول التي يجري وفقها الأمور، فهم ليسوا بدعا في الحياة فالنواميس التي تحكم الحياة جارية لا تتخلف والأمور لا تمضي جزافًا إنما هي تتبع هذه النواميس، فإذا هم درسوها وأدركوا مغازيها تكشفت لهم الحكمة من وراء الأحداث، وتبدت لهم الأهداف من وراء الوقائع، واطمأنوا الى ثبات النظام التي تتبعه الأحداث، وإلى وجود الحكمة الكامنة وراء هذا النظام، واستشرفوا خط السير على ضوء ما كان في ماضي الطريق، ولم يعتمدوا على مجرد كونهم مسلمين لينالوا النصر والتمكين بدون الأخذ بأسباب النصر، وفي أولها طاعةالله وطاعة .

والسنن التي يشير إليها السياق هنا ويوجه أيضا نظرهم إليها هي:

بيان عاقبة المكذبين على مدار التاريخ، ومداولة الأيام بين الناس والأنبياء لتمحيص السرائر وامتحان قوة الصبر على الشدائد واستحقاق النصر الصابرين والمحق للمكذبين

(١) سورة ال عمران الآية ١٤٠

(٢) ينظر تفسير القرآن العظيم، ج ١ ص ٤٠٨.

إن القرآن ليربط ماضي البشرية بحاضرها، وحاضرها بماضيها فيشير من من خلال ذلك كله إلى مستقبلها، وهؤلاء العرب الذين وجه إليهم القول أول أول مرة لم تكن حياتهم ولم تكن معارفهم ولم تكن تجاربهم قبل الإسلام لتسمح لهم بمثل هذه النظرية الشاملة، لولا هذا الإسلام وكتابه القرآن التي التي أنشأهم بهالله نشأة أخرى، وخلق منهم أمة تقود الدنيا [١]

إن العاقبة للمؤمنين والنصر موعود لهم، ولكن هناك حكمة تقضي أن يذوق يذوق المؤمنون طعم الهزيمة. ومداولة الأحوال لا يقصر على تعقب النصر النصر والهزيمة فإن اختلاف الأحوال التي تمر بالإنسان كذلك يخدم هذا الهدف. ولهذا قال بعض المفسرين أن معناه: نداولها بين الناس من فرح وغم وغم وصحة وسقم وغنى وفقر [٢]

ثم إن وعد الله بالنصر للمؤمنين لا يعني أن الأمر سيجري وفق هواهم وأن الثمرة ستأتي على أية حال. بل حكمة الله تقضي بأن تتربى تلك النفوس المؤمنة على تحمل مغبة الأخطاء، وأن تتعلم بأن المعصية تبعدهم عن رحمة الله وتوفيقه وعونه. فلم يكن من الصدفة أن يجد الإنسان فردا أو جماعة تغيرات أحوالهم، فإن وراء تلك الظواهر إرادة إلهية ذات حكمة بالغة ينبغي أن يعرفها الإنسان.

فقوله تعالى : (وتلك الأيام نداولها بين الناس) أي ونديل عليكم الأعداء تارة تارة وإن كانت لكم العاقبة لما لنا من الحكمة ، ومن هذه الحكمة : ليعلم الله الله الذين آمنوا (ومنها) ليتخذ منكم شهداء بأن يُقتلوا في جهادهم لأهل البطل . (ومنها) ليمحص الله الذين آمنوا (ومنها) ليمحق الكافرين . فعل ذلك من

(١) مفهوم السنن الربانية دراسة في ضوء القران الكريم د رمضان خميس ص ٢٥ - ٢٦

(٢) الجامع لأحكام القران للقرطبي ٢١٨/٤

فعل ذلك من وجوه الحكمة كالسبب والعلّة في تلك المداولة أي في غلبة العدو العدو [١].

فالأيام في الآية الكريمة أوقات الظفر والفوز ، ومدوالتها بين المؤمنين وأعدائهم أي تحويل الظفر والغلبة بينهم مرّة للمؤمنين ومرّة لأعدائهم ، فهذه فهذه المداولة سنّة من سنن الله في تدافع أهل الحق مع أهل البطل ، فلا عجب عجب أن تكون الدولة مرّة للمبطل ومرّة للمحق ؛ لأن المضمون والمؤكد لصاحب والمؤكد لصاحب الحق أن تكون العاقبة له ، والأعمال بالخواتيم[٢].

ولكن يجب أن يُعرف بأن المداولة في الواقع مبنية على أعمال الفريقين فلا فلا تكون الغلبة لمن عرف أسبابها ورعاها حق رعايتها ، فإذا كانت المداولة في النصر والغلبة بين الفريقين منوطة بالأعمال التي تفضي إليها إليها كالاجتماع والثبات وصحة النظر وقوة العزيمة وأخذ الأهبة وإعداد ما يستطيع من القوة ، فعلى المؤمنين أن يقوموا بهذه الأعمال ونحوها من من مستلزمات الغلبة والنصر حتى تكون المداولة لهم لا لعدوهم [٣] .

فهذه المداولة تشتمل على كثير من الحكم و الاسرار التي تسهم في استشراف المستقبل

الفرع الثالث: سنة التدافع بين الحق والباطل.

من سنن الله تعالى في البشر سنة التدافع ؛ وقد ذكرت آيات القرآن هذه السنة متمثلة في الاختلاف بين البشر والصراع بينهم ، وذكر حروبهم وأخبارهم ، وتمثلت كذلك في موقف الرسل من تكذيب أقوامهم وصراعهم مع الطغاة منهم.

---

(١) ينظر تفسير ابن كثير ، ج٢ ، ص ٢٠٨ ، تفسير الرازي ، ج٩ ، ص ١٤ .
(٢) تفسير المنار ، ج٤ ، ص ١٤٧ .
(٣) تفسير المنار ، ج٤ ، ص ١٤٨ .

تعريف التدافع: دفع: "الدال والفاء والعين أصلٌ واحد مشهور، يدلُّ على تحيَة الشيء. يقال دَفَعْتُ الشّيء أدفعُه دَفْعاً، وَدافع الله عنه السُّوءَ دِفاعاً؛ وَالمدفَّع: الفقير، لأن هذا بدافعه عند سؤالِهِ إلى ذلك.

وفي اللسان: الدَّفْع: الإزالة بقوّة. وتَدَافَعُوا الشيءَ: دَفَعَه كلّ واحد منهم عن صاحبه، وتدافَع القومُ أَي دَفَعَ بعضُهم بعضاً.

والمُدَافَعَةُ: المماطلةُ، واسْتَدْفَعْتُ اللَّهَ الأَسْواءَ، أي طلبتُ منه أن يَدْفَعَها عنِّي. وتَدَافَعَ القومُ، أي دَفَعَ بعضُهم بعضًا.

وَدَفَعْتُ الْقَوْلَ رَدَدْتُهُ بِالْحُجَّةِ". "وكل ذلك مشتقٌّ من أنّ بعضَه يدفَعُ بعضا.[1]

ويمكن أن يُخلص هنا إلى أن الدفع فيه معنى المغالبة على أمر أو الصراع الصراع عليه بين اثنين، سواء كان بين شخص وشخص أو بين أمة وأمة، أو وأمة، أو حتى بين حق وباطل، وبين خير وشر ليتقرر أحدهما ولو بالقوة، بالقوة، فهو "صراع وقتال بين الناس[2].

هذا وقد اشار الزبيدي الي تنوع مادة الدفع بحسب الحرف المصاحب لها فقال اذ لها فقال اذ عني الدفع بالي اقتضي معنى الامانة كقوله تعالى ﴿ فادفعوا

---

١ المقاييس في اللغة، ابن فارس ، مادة دفع، ج٣، ص١٢٤. ط دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٥٦م ، لسان العرب ابن منظور ، ، مادة دفع، ج٢، ص٢٥. دار صادر، ط١، بيروت، الصحاح في اللغة، الجوهري مصدر سابق، مادة دفع، ج١، ص٩٢. ط دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٥٦م، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أبي العباس أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي ج٣، ص٢٣١.مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، دار المؤيد للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م،

(٢)، السنن الإلهية في الحياة الإنسانية شريف الخطيب ، ج١، ص١٠٧.مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط١، الرياض، ٢٠٠٤م

اليهم اموالهم ﴾ [١] واذا عني بعن اقتضى معنى الحماية وذلك كقوله تعالى تعالى ﴿ ان الله يدافع عن الذين امنوا ﴾[٢]

وهذا البعد في معنى التدافع يفتح المجال امام التفكير في مضامينه المتنوعة بحسب ما يتنوع به اذ يمكن ان يتسع معنى التدافع ليشمل التدافع التدافع الايجابي التكميلي والتدافع السلبي التصادمي وذلك بحسب السياق كما كما اشارت كتب اللغة في تدفع السيل ودفع بعضه بعض فالتدافع بالأمر مغاير بالأمر مغاير التدافع عليه أو الدفع عنه او له وهكذا .[٣]

وورد ذكر لفظ التدافع صراحة في القرآن في موضعين من آيات الذكر الحكيم ، ففي صراع طالوت ومن آمن معه مع جالوت وحزبه الكافرين أخبر الكافرين أخبر الله تعالى بعد هزيمة جالوت وجنده بقوله : ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٤]

قال الفخر الرازي رحمه الله :اعلم أنه تعالى لما بين أن الفساد الواقع بجالوت بجالوت وجنوده زال بما كان من طالوت وجنوده، وبما كان من داود من قتل من قتل جالوت بين عقيب ذلك جملة تشتمل كل تفصيل في هذا الباب، وهو أنه وهو أنه تعالى يدفع الناس بعضهم ببعض لكي لا تفسد الأرض، فقال: *وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ* .[٥]

---

(١) سورة النساء الآية : ٦

(٢) سورة الحج الآية : ٣٨

(٣) سنة التدافع من منظور اسلامي معاذ بن محمد عبدالله مجلة الاسلام في اسيا الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا ص ١٣٥

٤ البقرة: ٢٥١

٥ التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ٥١٨/٦ .

والمعنى : إن ما فطر عليه الناس من مدافعة بعضهم بعضا عن الحق والمصلحة والمصلحة هو المانع من فساد الأرض، أي: هو سبب بقاء الحق وبقاء الصلاح. الصلاح. ويعزز ذلك قوله تعالى في بيان حكمة الإذن للمسلمين بالقتال في في سورة الحج: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [1]

فهذا إرشاد إلى تنازع البقاء والدفاع عن الحق، وأنه ينتهي ببقاء الأمثل وحفظ الأفضل.

ومما يدل على هذه القاعدة من القرآن المجيد قوله تعالى في سورة الرعد: الرعد: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَـٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَـٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [2]

فهو يفيد أن سيول الحوادث ونيران التنازع تقذف زبد البطل لضار في الاجتماع وتدفعه، وتبقي إبريز الحق النافع الذي ينمو فيه العمران، وإبريز

١ الحج: ٣٩ - ٤١
٢ الرعد: ١٧

وإبريز المصلحة التي يتحلى بها الإنسان، وهناك آيات أخرى في أن الحق الحق يزهق البطل. [١]

وقوله تعالى: «وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ...» .يبيّن أن هذا التدافع بين الناس.. بين الخير والشر.. بين الحق والبطل..

بين الأقوياء والضعفاء.. بين الأغنياء والفقراء.. بين الأفراد والأفراد.. وبين وبين الجماعات والجماعات.. وبين الأمم والأمم- هذا التدافع فى كل موقع موقع من مواقع الحياة، وفى كل متجه فيها، وعلى كل مورد مواردها- هو هو الذي يحرك دولاب العمل على هذه الأرض، ويبعث الحياة في كل جلب جلب منها.. ولو كان النّاس متجها واحدا، ومذهبا واحدا، وشعورا واحدا، واحدا، وتفكيرا واحدا، ومنزعا واحدا- لكانوا شيئا واحدا.. كانوا كتلة باردة ضخمة، أشبه بجبل من الجليد، لا تطلع عليه الشمس أبدا!! فسبحان من فسبحان من خلق بين النّاس فجعل من هذا التخلف مادة الحياة والبناء والعمران، ولولا تلك لفسدت الأرض وضاع الناس: «وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى فَضْلٍ عَلَى الْعالَمِينَ». [٢]

قال الشيخ أبو زهرة : فهو سبحانه قد حكم بأن دفعه للناس أجمعين، ثم أردف القول بالبدل بقوله: (بَعْضَهُم بِبَعْضٍ) وفي ذلك إشارة إلى أن تلك المدافعة بين الناس مستمرة، وأنها ليست في جيل دون جيل، ولا زمان دون دون زمان، ولا يتعين أن يكون قوم بأعيانهم للشر، وآخرون للخير، فقد يكون بعض الناس فيه خير في بعض نواحيه، فيدفع شر غيره في هذه

١. تفسير القرآن الحكيم محمد رشيد رضا ٣٩٥/٢ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر: ١٩٩٠ م

٢ التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم الخطيب : ٣١٢/١ ط دار الفكر العربي - القاهرة

الناحية، ويكون في الآخر ما يدفع به شرا في بعض نواحي الأول، وقد يكون بعض الأقوام في جلب الحق يضرونه لغايات في نفوسهم، وإن لم يكونوا لم يكونوا فضلاء في عامة أحوالهم، فالشر يدفع بالبر والفاجر، ويصر الحق الحق بالأخيار والأشرار، ولذا لم يقل سبحانه وتعالى: ولولا دفع الله الأشرار الأشرار بالأخيار، بل قال سبحانه: (بَعْضَهُم بِبَعْضٍ) ليعم تلك الأحوال، وتلك وتلك من فضل الله على عباده؛ ولذا ختم الله سبحانه وتعالى الآية بقوله تعلت تعلت كلماته: (وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ).[1]

وأما الموضع الثاني الذي ذكر فيه التدافع فهو في مقام الإذن بالجهاد وبيان مشروعيته؛ إذ هو سبيل مدافعة أهل الكفر ، قال تعالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[2]

وهو إشارة إلى هذا الصدام الذي يقوم بين أهل الشر والضلال، وأهل الخير الخير والإيمان، وأنه لولا أهل الخير والإيمان، ووقوفهم فى وجه الضالين الضالين والباغين- لما قام لله دين على هذه الأرض، ولغلب الشر الضلال، الضلال، ولأتى على كل صالحة فى هذه الدنيا، ولخربت بيوت العبادة التي التي أقامها المؤمنون لعبادة الله من «صَوامِعُ» وهى بيوت عبادة الرهبان من الرهبان من الصلوى، «وَبِيَعٌ» وهى بيوت عبادة الصلوى عامة،

---

١ زهرة التفاسير محمد أبو زهرة ٩١٣/٢ ط : دار الفكر العربي
٢ الحج: ٣٩ - ٤١

«وَصَلَواتٌ» وهى بيوت عبادة اليهود، «وَمَسَاجِدُ» وهى بيوت عبادة المسلمين..

ومن أجل هذا، فقد أقام الله سبحانه وتعالى، فى كل ملة، وفى كل أمّة، جماعة مؤمنة، تقيم شرع الله، وتحيى شعائره، وتعمر بيوته، وتحتمل فى سبيل هذا ما تحتمل من بلاء، فى دفع الظالمين، وردع الباغين..

فهذا الصّدام القائم بين الهدى والضلال، وبين المهتدين والضّالّين، هو سنّة من سنن الله، التي أقام حياة الناس عليها، والتي كان من ثمارها أن قامت بيوت الله، وعمرت بالمؤمنين الذاكرين الله كثيرا فيها..

وفى هذا دعوة المؤمنين- فى صدر الدعوة الإسلامية خاصة- أن يكونوا جند الله في هذه الأرض، والحماة المدافعين عن دينه، والمقيمين مساجده، والمعمّرين ساحاتها بذكر الله فيها..

وفى هذا أيضا إشارة إلى أنه سيكون للمسلمين مساجد، وأن هذه المساجد ستعمر بالمصلين والذاكرين الله كثيرا فيها.. وهو وعد كريم من ربّ من ربّ كريم، لجماعة المؤمنين يومئذ.. وقد تحقق هذا الوعد- وكان لا بد أن يتحقق- فملأت المساجد آفاق الأرض، وامتلأت بالمصلين، واهتزت واهتزت جنباتها بالذاكرين.[1]

١ عبد الكريم الخطيب : التفسير القرآني للقرآن ٦/١٠٤٥-١٠٤٦.

الفرع الرابع : سنة الاستدراج.

يقال : استدرجه: رقاه وأدناه منه على التدريج، فتدرج هو ، كدرجه إلى كذا تدريجا: عوده إياه كأنما رقاه منزلة بعد أخرى، وهذا مجاز.

واستدرج فلان الناقة إذا استتبع ولدها بعد ما ألقته من بطنها.

واستدراج الله تعالى العبد بمعنى أنه كلما جدد خطيئة جدد له نعمة وأنساه وأنساه الاستغفار ، وفي التنزيل العزيز: ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1] أي سنأخذهم من حيث لا يحتسبون، وذلك أن الله تعالى يفتح عليهم من النعيم النعيم ما يغتبطون به، فيركنون إليه، ويأنسون به، فلا يذكرون الموت، فيأخذهم على غرتهم أغفل ما كانوا، ولهذا قال عمر بن الخطاب، رضي الله الله عنه، لما حمل إليه كنوز كسرى: اللهم إني أعوذ بك أن أكون مستدرجا مستدرجا فإني أسمعك تقول {سنستدرجهم من حيث لا يعلمون

وقيل: استدراج الله تعالى العبد : أن يأخذه قليلا قليلا ولا يباغته.[2]

وقد ورد مصطلح الاستدراج في موضعين من القرآن الكريم، في آيتين متشابهتين في اللفظ بقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[3] ﴿ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[4]

ومعنى سنستدرجهم سنستدينهم قليلا قليلا إلى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك أن يواتر الله نعمة عليهم مع مع انهماكهم في الغي فكلما جدد عليهم نعمة ازدادوا بطرا وجددوا معصية

---

١ الأعراف : ١٨٢ والقلم: ٤٤

٢ تاج العروس من جواهر القاموس .المرتضي الزبيدي . ٥٦٠/٥ ط دار الهداية.

٣ الأعراف: ١٨٢

٤ القلم : ٤٤ .

معصية فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم ظانين أن مواترة النعم النعم أثرة من الله وتقريب، وإنما هي خذلان منه وتبعيد فهذا استدراج الله الله نعوذ بالله تعالى منه، من حيث لا يعلمون قيل: بالاستدراج، وقيل: بالهلاك، وقرأ النخعي وابن وثاب: سيستدرجهم بالياء فاحتمل أن يكون من من باب الالتفات واحتمل أن يكون الفاعل ضمير التكذيب المفهوم من كذبوا كذبوا أي سيستدرجهم هو أي التكذيب .[1]

والفرق بين الاستدراج والإملاء :أن الإملاء هو الامهال والتأخير قال تعالى: ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾[2] والاستدراج: هو أنه كلما جدد العبد خطيئة جدد الله له نعمة، وأنساه الاستغفار إلى أن يأخذه قليلا قليلا ولا يباغته....

وعلى هذا هما عموم وخصوص، إذ كل استدراج إملاء وليس كل إملاء استدراجا.[3]

فقوله تعالى : (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ) أي والذين كذبوا بآيات الله سندعهم يسترسلون في غيهم وضلالهم ولا يدرون شيئا من عاقبة أمرهم، لجهلهم سنن الله في المنازعة بين الحق والبطل وأن الحق يدفع البطل، وما ينفع الناس يتغلّب على ما يضرهم كما قال تعالى بل نقذف بالحقّ على البطل فيدمغه فإذا هو زاهق وقال: «فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفاءً وَأَمَّا ما يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ» .

---

١ البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٢٣٣/٥ ط دار الفكر – بيروت الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

٢ الأعراف: ١٨٣ والقلم : ٤٥ .

٣ . الفروق اللغوية أبو هلال العسكري ص ٢٣ ط مؤسسة النشر الإسلامي الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ

وقد صدق الله وعده، فقد كان كفار قريش وصناديدها يبالغون في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم، اغتراراً بكثرتهم وثروتهم لا يعتدّون به ولا بغيره ممن آمن به أوّلا وأكثرهم من الضعفاء الفقراء، فما زالوا يتدرّجون في عداوتهم له وقتالهم إياه حتى أظهره الله تعالى عليهم في غزوة بدر فلم يعتبروا، ثم زادهم غرورا تغلّبهم عليه آخر معركة أحد حتى قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر – إلى أن كان الفتح الأعظم: فتح مكة فأظهر رسوله صلى الله عليه وسلم ومن اتبعه عليهم من حيث لا يعلمون سنته تعالى.

وأثر عن عمر رضي الله عنه أنه قال لما حطت إليه كنوز كسرى: اللهم إنى إنى أعوذ بك أن أكون مستدرجا فأنى سمعتك تقول (سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ) .[1]

١ تفسير المراغي أحمد مصطفى المراغي . ١٢٢/٩ مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر
الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م

المطلب الثاني : قانون الأسباب والمسببات

عرف العلماء السبب بانه هو: كل شيء يتوصل به إلى غيره وكل شيء شيء يتوسل به إلى شيءٍ غيرِه ، ومنه سمي الحبل سبباً، قال تعالى: ﴿ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [١] منها أيضاً قوله تعالى: { فَلْيَرْتَقُوا فِي الأَسْبَابِ الأَسْبَابِ } [٢]. وقول فرعون: { لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ } [٣].يعني: الوسائل التي يصعد بها. ، والجمع أسباب . وكل شيءٍ يتوصل يتوصل به إلى الشيءِ فهو سبب وجعلت فلانا لي سبَباً إلى فلان في حاجتي، والسّبب هو الحبل الذي يتوصل به إلى الماءِ ثم استعير لكل ما ما يتوصل به إلى شيءٍ" [٤].

والسبب الحبل والطريق لأنك تصل به إلى ما تريد[٥]، وهو عند الزمخشري "ما الزمخشري "ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو آلة " [٦].

وقد دلّ القرآن الكريم على أن كل شيء يحدث بسبب سواء كان هذا الحدث الحدث يتعلق بالجماد أو بالنبات أو بالحيوان أو بالإنسان أو بالأجرام السماوية أو الظواهر الكونية المادية المختلفة . فقانون السببية أي ربط المسببات بأسبابها والنتائج بمقدماتها ، هذا القانون عام شامل لكل ما في العالم ولكل ما يصل للإنسان في الدنيا والآخرة [٧]

---

١ الحج: ١٥

(٢)سورة ص : الاية ١٥ .

(٣)سورة غافر : الايتان ٣٦-٣٧.

(٤)لسان العرب، ج١، ص٤٥٥. تاج العروس، ج١، ص٥٧١.

(٥) انظر: الصحاح في اللغة، الجوهري، إسماعيل بن حماد الجوهري، ط دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٥٦م، ج١، ص٢٩٩.

(٦)تفسير الكشاف، الزمخشري ط دار الفكر، ط١، القاهرة، ١٩٧٧م، ج٤، ص٤٦.

(٧)السنن الالهية د عبدالكريم زيدان ص٢٢

والآيات في هذا الموضوع كثيرة فسنّةالله في الأسباب تشغل مساحة كبيرة كبيرة جداً من سنته الأخرى ، وقد لا أكون مغالياً إذا قلت إن السنن الأخرى الأخرى تقوم على سنته تعالى في الأسباب بصورة مباشرة أو غير مباشرة مباشرة حتى لتبدو للمتأمل فيها كأنها من مفردات سنّة الله في الأسباب وليست سنناً مستقلة ، وإن إفرادها بالذكر وبأسماء خاصة بها إنما هو لإبرازها ولفت النظر إليها لمعنى خاص بها ، وتبقى مع ذلك قائمة على سنّة في الأسباب ومعتمدة عليها بصورة مباشرة أو غير مباشرة ١.

ولو توقفنا امام بعض هذه الايات وذلك مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً﴾٢.

فهذه الآية الكريمة تتحدث عن هذا الرجل الصالح المعروف بذي القرنين و الذي حكم الأرض بشرعالله تعالى حتى دان له المشرق والمغرب

وقد اشارت آيات القران الكريم الى ان الذي هيا له هو أخذه بالأسباب وعنايته بها وعمل تسخيرها فيما استخلافه الله تعالى فيه ،وكان ذلك وفق وفق حديث القران عنه بانه اتبع الاسباب ولهذا قال تعالى ،﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً ثم اتبع سببا. ﴾(٣).

وبذلك تنتهي هذه الحلقة من سيرة ذي القرنين. النموذج الطيب الحاكم الصالح. الصالح. يمكنه الله في الأرض، وييسر له الأسباب؛ فيجتاح الأرض شرقا شرقا وغربا؛ ولكنه لا يتجبر ولا يتكبر، ولا يطغى ولا يتبطر، ولا يتخذ من من الفتوح وسيلة للغنم المادي، واستغلال الأفراد و الجماعات والأوطان،

(١) السنن الإلهية د عبد الكريم زيدان ، مصدر سابق، ص٣٣.
(٢)سورة الكهف الاية ٨٤
(٣)سورة الكهف الاية ٨٤ ـ ٨٥

والأوطان، ولا يعامل البلاد المفتوحة معاملة الرقيق؛ ولا يسخر أهلها في في أغراضه وأطماعه.. إنما ينشر العدل في كل مكان يحل به، ويساعد المتخلفين، ويدرأ عنهم العدوان دون مقابل؛ ويستخدم القوة التي يسرها الله له الله له في التعمير والإصلاح، ودفع العدوان وإحقاق الحق. ثم يرجع كل خير خير يحققه الله على يديه إلى رحمة الله وفضل الله، ولا ينسى وهو في إبان إبان سطوته قدرة الله وجبروته، وأنه راجع إلى الله"(١).

هذا ومما ينبغي التنبيه اليه ان الاخذ بالأسباب رغبة في تحصيل المطلوب المطلوب والوصول الي المقصود اذا كان مقصود شرعا فانه لا ينافي التوكل ينافي التوكل على الله بحال، بدليل ما حكاه القران الكريم في شان مريم انة انة عمران فمع شدة ضعفها وعظم جهدها وقلة حليتها الا انه مع هذا كله كله امرها الله تعالى قائلا لها ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً رُطَباً جَنِيّاً﴾ (٢).

الفرع الأول : الجزاء من جنس العمل .

قواعد الشرعية والسنن الكونية أن الجزاء من جنس العمل ، وأن الله يجزي كل إنسان على عمله ، إن خيرا فخير وإن شرا فشر .

وآيات القرآن الدالة على هذه القاعدة كثيرة ووفيرة :

قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾[٣]

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج٥، ص٨١.
(٢) سورة مريم الاية ٢٥
٣النساء: ٤٠

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[1]

﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾[2]

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[3]

أي فمن يعمل فى هذه الدنيا مثقال ذرة من خير، يره خيرا فى الآخرة، ومن ومن يعمل فى دنياه مثقال ذرة من شر، يره شرا يوم القيامة.. فليس المراد المراد برؤية الأعمال تجرد الرؤية، وإنما المراد هو ما وراء هذه الأعمال من الأعمال من جزاء.. فالعمل الطيب إذا رآه صاحبه سرّ به، ورأى فى وجهه وجهه البشير التي يحمل إليه رحمة الله ورضوانه فى هذا اليوم العظيم.. العظيم.. والعمل السيء إذا رآه صاحبه حاضرا بين يديه فى مقام الحساب، الحساب، ساءه ذلك، وملأ نفسه حسرة وغما، إذ كان هو الشاهد التي يشهد يشهد بتأثيمه وتجريمه.[4]

وقال تعالى ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[5]

وفى وصف البغي بالسيئة، إشارة إلى أنه من المنكر التي ينبغى على المؤمن محاربته..

وفى وصف ردّ العدوان ودفع البغي بالسيئة، إشارة إلى أن من أساء، لا ينبغى أن يتحرج المؤمن من الإساءة إليه، وإلحاق الضرر به، كما أساء هو

١يونس: ٢٦
٢الرحمن: ٦٠
٣الزلزلة: ٧- ٨
٤ التفسير القرآني للقرآن ١٦٥٢/١٦
٥الشورى: ٤٠

هو إلى غيره. وساق إليه الضرّ والأذى.. فالسيئة هنا، إنما هى سيئة بالإضافة إلى من بدأ بالإساءة.. فما هى إلا عمله قد ردّ إليه.. وفى قوله تعالى: «سَيِّئَةٌ مِثْلُها» إشارة إلى أن الجزاء، هو من جنس العمل..[١]

لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾[٢]

وقضت حكمته تعالى وسنته في خلقه ألا يتحمل أحد وزر غيره ، وكل إنسان محاسب على ما عمل، ومجزيّ به، ولا تحمل نفس ذنب نفس أخرى ، وكل نفس بما كسبت رهينة

﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾[٣]

﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾[٤]

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾[٥]

قال ابن القيم: كان الجزاء مماثلا للعمل من جنسه في الخير والشر فمن ستر ستر مسلما ستره الله ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب

---

١ التفسير القرآني ٧٧/١٣
٢ النساء: ١٢٣
٣ الأنعام: ١٦٤
٤ الإسراء: ١٥
٥ فاطر: ١٨

من كرب يوم القيامة ومن أقال نادما أقاله الله عثرته يوم القيامة ومن تتبع تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن ضار مسلما ضار الله به ومن شاق شاق شاق الله عليه ومن خذل مسلما في موضع يحب نصرته فيه خذله الله في الله في موضع يحب نصرته فيه ومن سمح سمح الله له والراحمون يرحمهم الرحمن يرحمهم الرحمن وإنما يرحم الله من عباده الرحماء ومن أنفق أنفق عليه ومن ومن أوعى أوعى عليه ومن عفا عن حقه عفا الله له عن حقه ومن جاوز جاوز تجاوز الله عنه ومن استقصى استقصى الله عليه فهذا شرع الله وقدره وقدره ووحيه وثوابه وعقابه كله قائم بهذا الأصل وهو إلحاق النظير بالنظير واعتبار المثل بالمثل.[١]

الفرع الثاني : الصلاح الدنيوي مبني على الصلاح الديني.

لا يصلى الدين إلا بنظام الدنيا، ونظام الدين بالمعرفة والعبادة ، ولا يتوصل إليهما إلا بصحة البدن، وبقاء الحياه، وسلامة قدر الحاجات من: الكسوة والمسكن، والأقوات، والأمن.

ومن أصبح آمنا في سربه، معافي في بدنه، وله قوت يومه، فكأنما حيزت حيزت له الدنيا بحذافيرها كما في الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم [٢].

وسلم [٢].

فلا ينتظم الدين إلا بتحقيق الأمن علي هذه المهمات الضرورية. وإلا فمن كان جميع أوقاته مستغرقا بحراسة نفسه من سيوف الظلمة، وطلب قوت يومه من وجوه الغلبة، متي يتفرغ للعلم والعمل، وهما وسيلتاه إلي سعادة الآخرة؟

---

١ إعلام الموقعين ٩٦/١ .

٢ قال الهيثمي : رواه الطبراني ورجاله وثقوا على ضعف في بعضهم مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٢٢٧/٢ ط:دار الفكر، بيروت - ١٤١٢ هـ

فإذن بان أن نظام الدنيا– أعني مقادير الحاجة– شرط لنظام الدين، هكذا قرر الاجتماع الإسلامي قبل ظهور الفلسفات الاجتماعية الحديثة : أن الأمن الاجتماعي والاطمئنان علي توافر مقومات الاجتماع البشري والعمران الانساني المادية والمعنوية ، من صحة البدن إلي بقاء الحياة، إلي حاجيات الكساء والمسكن والأقوات إلي الأمن ، جميع ذلك قد سلكته الرؤية الإسلامية في عداد الضرورات والحاجيات ، لا مجرد الحقوق أو الكماليات ، ثم جعلته الفريضة التي تترتب علي إقامتها فرائض الدين وشعائر العبادات..

وانطلاقا من هذه الفلسفة الاجتماعية والإسلامية صيغت العبارة الشهيرة: الشهيرة: صحة الأبدان مقدمة . بل وشرط .لصحة الأديان.[1]

قال تعالى ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[2] فالله سبحانه قد جاءهم بالدين الجامع الذي فيه صلاح أمر أمر الدنيا وصلاح أمر الآخرة، ومعنى هذا أن دين الإسلام قد ضمن لكل لكل شعب يدين به عناصر جامعة شاملة للحياة الإنسانية، تضمن أصولا أصولا جامعة في الكتاب والسنة يجب أن يتحرَّى أفراده العمل بها في ذوات ذوات أنفسهم، ويجب عليه أيضا أن يُطبقها في مُجتمعه، ويجب عليه أيضا أن أيضا أن يلتمس لكل ما يجد في حياته ومعاملاته هديًا مُستنبطا من الكتاب الكتاب والسنة، ويجب عليه أيضًا أن يلتمس فيها ضوابط تصحح طريق آدابه آدابه وعلومه وفنونه وأفكاره ومعارفه.[3]

---

١ أيهما الأساس.. صلاح الدين أم صلاح الدنيا؟ بقلم: د. محمد عمارة جريدة الأهرام المصرية ٢٠١٢/١٠/١م .

٢ سورة المائدة :٣.

٣ جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر، ج٢ ص١٠٨٥، ط٢ مكتبة الخانجي بالقاهرة.

وقد أرشدنا الله تعالى إلى وسائل تحقيق صلاح الدنيا والدين ، وجمع الله هذه هذه الوسائل في قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [١]

ويؤكده دعاء صلى الله عليه وسلم الجامع لخيري الدنيا والدين فيما رواه أبو أبو هريرة رضي الله عنه قال: كان رَسُولَ اللهِ يقول : اللهم أصلح لي ديني ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنيلي التي فيها معاشي، وأصلح لي وأصلح لي آخرتي التي فيها معلي. [٢]

وقوله صلى الله عليه وسلم : اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري . أي الذي هو حافظ لجميع أموري، فإن من فسد دينه فسدت جميع أموره وخاب وخسر في الدنيا والآخرة ، وأصلح لي دنيلي التي فيها معاشي أي بإعطاء الكفاف فيما يحتاج إليه وكونه حلالا معينا على الطاعة ، وأصلح لي آخرتي التي فيها معلي أي ما أعود إليه يوم القيامة .

قال الحرالي قد جمع في هذه الثلاثة صلاح الدنيا والدين والمعاد ، وهي أصول مكارم الأخلاق التي بعث لإتمامها ، فاستقى في هذا اللفظ الوجيز الوجيز صلاح هذه الجوامع الثلاث التي حلت في الأولين بداياتها وقت عند عند غاياتها ، فإصلاح الدين بالتوفيق لإظهار خطاب ربه من جهة أحوال أحوال قلبه وأخلاق نفسه وأعمال بدنه فيما بينه وبين ربه ، من غير التفات لعرض النفس والبدن إلا بالتطهر منه واستعمال الحلال الذي تصلح

---

١ سورة النساء : ٥٩ .

٢ صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب الأدعية ٤٠/١٧ ط المكتبة المصرية ط الأولى ١٣٤٩هـ ١٩٣٠م .

تصلح النفس والبدن عليه لموافقته لتقويتها، وإصلاح المعاد بخوف الزجر الزجر والنهي التي لا تصلح الآخرة إلا بالتطهر منه، لبعده عن حسناها وخوف الأمر التي تصلح الآخرة عليه لتقاضيه لحسناها، والمقصود بالزجر بالزجر والنهي الردع عما يضر في المعاد، إلا أن الردع على وجهين: خطاب لمعرض ويسمى زجرا، كما يسمى في حق البهائم وخطاب المعتل المعتل على التفهم ويسمى نهيا ، فكان الزجر يزيغ الطبع ، والنهي يزيغ العقل.[١]

ولاتضاد بين اهتمام المسلم بصلاح دينه وبين اهتمامه بصلاح دنياه، بل هما مرتبطان فلا صلاح للدنيا إلا عن طريق الدين ، ولا غنى للدين عن صلاح الدنيا .

وقد جعل الله تعالى أسباب حاجات الإنسان وحيل عجزه في الدنيا،التي جعلها دار تكليف وعمل ،كما جعل الآخرة دار قرار وجزاء ، فلزم لذلك أن يصرف الإنسان إلى دنياه حظا من عنايته ؛ لأنه لا غنى به عن التزود منها لآخرته ، ولا له بد من سد الخلة فيها عند حاجته...

وقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴾[٢]

قال أهل التأويل : فإذا فرغت من أمور دنياك فانصب في عبادة ربك .

وليس هذا القول منه ترغيبا لنبيه صلى الله عليه وسلم فيها ، ولكن ندبه إلى أخذ البلغة منها ...فكأن الدين أقوى قاعدة في صلاح الدنيا واستقامتها ، وأجدى الأمور نفعا في انتظامها وسلامتها .

---

١ فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي (٢/ ١٧٣) ط دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة الاولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

٢ الشرح: ٧

ولذلك لم يخل الله تعالى خلقه مذ فطرهم عقلاء من تكليف شرعي ، واعتقاد واعتقاد ديني ينقادون لحكمه فلا تخطف بهم الآراء ، ويستسلمون لأمره فلا فلا تصرف بهم الأهواء .[1]

وحين يهمل الناس صلاح أمرهم في دينهم ودنياهم ويظهر فيهم الفساد تتنزل عليهم العواقب ، ويأخذهم الله بما كسبت أيديهم .

قال تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾[2]، وقال ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[3] ، وقال: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[4]

يقول ابن القيم : من له معرفةٌ بأحوالِ العالم ومبدئه يعرِفُ أنَّ جميعَ الفسادِ في جوِّه ونباتِه، وحيوانه وأحوالِ أهله – حادثٌ بعد خلقِه بأسبابٍ اقتضت حدوثه، ولم تزلْ أعمالُ بني آدم ومخالفتهم للرسلِ تُحدِثُ لهم من الفسادِ من الفسادِ العام والخاص ما يجلبُ عليهم من الآلامِ والأمراض، والأسقامِ والأسقامِ والطواعين، والقحوطِ والجدوب، وسلبِ بركات الأرض وثمارها وثمارها ونباتها، وسلبِ منافعها أو نقصانها – أمورًا متتابعة يتلو بعضُها بعضُها بعضًا، فإن لم يتسعْ علمك لهذا فاقفِ بقوله – تعالى –: ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ ، ونزِّل هذه الآيةَ على أحوالِ

---

١ أدب الدنيا والدين لأبي الحسن الماوردي ١٦١ وما بعدها ، ط دار اقرأ بيروت ط الرابعة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م بتصرف .

٢ الأعراف: ٩٦

٣ النحل: ٩٧

٤ الروم: ٤١

العالم، وطابِقْ بين الواقعِ وبينها، وأنت ترى كيف تحدثُ الآفاتُ والعِللُ كلَّ وقتٍ كلَّ وقتٍ في الثمار والزرع والحيوان، وكيف يحدثُ من تلك الآفاتِ آفاتٌ أخر آفاتٌ أخر متلازمة، بعضُها آخذٌ برقابِ بعض، وكلما أحدث النَّاسُ ظلمًا ظلمًا وفجورًا، أحدث لهم ربُّهم – تبارك وتعالى – من الآفاتِ والعلل في في أغذيتِهم وفواكههم، وأهويتِهم ومياههم، وأبدانِهم وخلقهم، وصورِهم وأشكالهم، وأخلاقهم – من النَّقصِ والآفات ما هو موجب أعمالهم وظلمهم وظلمهم وفجورهم، ولقد كانت الحبوبُ من الحنطةِ وغيرها أكثر مما هي اليوم، هي اليوم، كما كانت البركةُ فيها أعظم..

وأكثرُ هذه الأمراضِ والآفاتِ العامَّةِ بقيةُ عذابٍ عُذِّبت به الأممُ السَّالفة، ثم بقيتْ منها بقيةٌ مرصدة لمن بقيتْ عليه بقيةٌ من أعمالِهم، حكمًا قِسطًا، وقضاءً عدلاً، ..وكذلك سلَّطَ الله – سبحانه وتعالى – الريحَ على قومٍ سبعَ ليالٍ سبعَ ليالٍ وثمانية أيام، ثم أبقى في العالَمِ منها بقية في تلك الأيام، وفي نظيرِها عظةٌ وعبرة،.

وقد جعل اللهُ – سبحانه – أعمالَ البَرِّ والفاجر مقتضياتٍ لآثارِها في هذا العالم اقتضاءً لابدَّ منه، فجعلَ منعَ الإحسانِ والزكاة والصدقة سببًا لمنعِ الغيثِ الغيثِ من السَّماء والقحط والجدب، وجعل ظلمَ المساكين والبخس في المكاييل المكاييل والموازين، وتعدّي القويّ على الضعيفِ سببًا لجورِ الملوكِ والولاة الذين والولاة الذين لا يرحمون إن استُرحِموا، ولا يعطفون إن استُعطِفوا، وهم في في الحقيقةِ أعمالُ الرَّعايا ظهرت في صورِ ولاتهم، فإنَّ الله – سبحانه – – بحكمته وعدله يظهر للناس أعمالهم في قوالبَ وصورٍ تناسبها، فتارة بقحطٍ وجدب، وتارة بعدوٍّ، وتارة بولاة جائرين، وتارة بأمراض عامَّة، وتارة بهمومٍ وآلام وغموم تحضرها نفوسهم لا ينفكون عنها، وتارة بمنع بمنع بركاتِ السَّماءِ والأرض عنهم، وتارة بتسليطِ الشياطين عليهم تؤزهم

تؤزهم إلى أسباب العذاب أزًّا، لتحقَّ عليهم الكلمة، وليصيرَ كل منهم إلى ما إلى ما خُلق له، والعاقلُ يسير بصيرته بين أقطارِ العالم فيشاهده، وينظر مواقعَ مواقعَ عدلِ الله وحكمته، وحينئذٍ يتبينُ له أنَّ الرسلَ وأتباعَهم خاصة على على سبيل النَّجاة، وسائر الخلقِ على سبيل الهلاكِ سائرون، وإلى دارِ البوار صائرون،والله بالغٌ أمره، لا معقِّبَ لحكمه، ولا رادَّ لأمرِه.[١]

الفرع الثالث : صلاح الجماعة مرتبط بصلاح الفرد.

جبل الانسان على حب مصلحته وتغليبها على مصالح الاخرين ، ولو ترك من غير ما يضبط سلوكه وفكره لعاش الناس في شقاء ونزاع ، فكانت الحاجة إلى صقل فكر الإنسان وتوجيهه إلى ما ينفعه ويكون نفعه للمجتمع .

لقد أودع اللهُ عزَّ وجلَّ في قلوبِ العباد من المعارف الفِطرية الضرورية ما ما يفرِّقون به بين الحقِّ والبطل، وما يجعلها مستعدَّةً لإدراك الحقائق ومعرفتها، ولولا ما في القلوب من هذا الاستعداد والتمكُّن لَمَا أفاد النظرُ والاستدلالُ ولا البيانُ، كما أنه سبحانه جعل الأبدان مستعدَّةً للاغتذاء بالطعام والشراب، ولولا هذا الاستعداد لَمَا أمكن تغذيتها وتربيتها، وكما أنَّ أنَّ في الأبدان قوَّةً تفرِّق بين الغذاء الملائم والمنافي، ففي القلوب قوَّةٌ تفرِّق تفرِّق بين الحقِّ والبطل أعظمَ من ذلك.[٢]

وصلاح الفرد يرتبط بالتطهر من شوائب النفس ، وتخليصه نفسه من مظاهر مظاهر الجاهلية والخرافة ، ومحاربته لأسباب الانحراف السلوكي

---

١ زاد المعاد في خير هدي العباد لابن القيم الجوزية ٣٦٢/٤ ط مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م .

٢درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٥/ ٦٢ دار الكنوز الأدبية - الرياض ١٣٩١هـ.

والفكري،وعلوه فوق رغباته وشهواته ، وتغليبه لمصلحة الجماعة على مصلحته مصلحته .

وقد جاءت آيات القرآن تحمل الهداية للفرد والمجتمع في إطار قوله تعالى تعالى ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[١] وغيرها من النصوص التي التي يصف الله فيها القرآن بالنور والشفاء .

وقد شملت الهداية جميع مناحي الحياة ممثلة في قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٢] وإذا كان المجتمع يتكون من من مجموعة من الأفراد فصلاح الجماعة مرتبط بصلاح أفراده ، وحين يكون يكون أفراد المجتمع متسمين بالصلاح فذلك يضمن مجتمعا صالحا .

وحتى يتحقق صلاح الفرد في الشريعة الإسلامية كان لزاما أن يتحمل مسئولية عمله، فقد قررت آيات القرآن أن كل إنسان مسئول عن عمله هو لا عن عمل غيره ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾[٣] ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾[٤] ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[٥] ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾[٦] ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾[٧] ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾[٨]

---

١ الإسراء: ٩
٢ الأنعام: ١٦٢
٣ المدثر: ٣٨
٤ البقرة: ٢٨٦
٥ فاطر: ١٨
٦ النجم: ٣٩
٧ النساء: ١٢٣
٨ الزلزلة: ٧ - ٨

فصلاحُ النَّفْسِ هو صلاحُ الفَرْدِ، وصلاحُ الفردِ هو صلاحُ المجموعِ، والعنايةُ والعنايةُ الشرعيَّةُ متوجِّهةٌ كُلُّهَا إلى إصلاحِ النفوسِ؛ إمَّا مباشرةً وإمَّا بواسطةٍ، فما مِنْ شَيْءٍ مِمَّا شَرعَهُ اللهُ تعالى لعبادِه من الحقِّ والخيرِ والعدلِ والعدلِ والإحسانِ، إلَّا وهو راجعٌ عليها بالصَّلاح، وما من شيءٍ نهى اللهُ اللهُ تعالى عنه من البطلِ والشَّرِّ والظُّلْمِ والسُّوءِ، إلَّا وهو عائدٌ عليها بالفساد؛ بالفساد؛ فتكميل النَّفْسِ الإنسانيَّةِ هو أعظمُ المقصودِ من إنزالِ الكتبِ وإرسالِ وإرسالِ الرُّسلِ، وشرع الشَّرَائِعِ.[1]

وحين يتحقق صلاح الفرد لنفسه فإنه يكون لبنة قوية في مجتمع قوي تتملك لبناته حتى تصير كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، مما يثمر أمة قوية متماسكة يكون لها العز والتمكين .

١ ابن باديس: حياته وآثاره١ /٢٣٣ ط الشركة الجزائرية .

المطلب الثالث : التفاؤل والكهانة .

مشروعية التفاؤل .

تتقلب الحياة ولا تستقر على حال ، فمن سعادة إلى شقاء ، ومن فرح إلى إلى ترح ، وما بين ذلك لا يدرك المرء منها ما يحب ويهوى قال الله تعالى : تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴾[١]

والإنسان يتقلب معها ، فإذا أصابه الفرح والسرور كان سعيدا ، وإن أصابه الشر كان جزوعا ، إلا من اصطفاهم الله ووقاهم الجزع والهلع حال الشر ، والمنع حال رخاء النعم.

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴾[٢]

عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له[٣] له[٣]

فلا غنى للإنسان من الثقة والأمل والتفاؤل ، ثقة وحسن ظن بالله تعالى " لا " لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن [٤]

والأمل والتفاؤل بأنه مهما بلغت ذنوبه وعاد إلى ربه وجد ربه غفورا رحيما ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ .

---

١ سورة البلد : ٤.
٢ المعارج: ١٩ - ٢٢
٣ صحيح مسلم كتاب الزهد والرقائق باب المؤمن أمره كله خير ٢٢٩٥/٤
٤ صحيح مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب الأمر بحسن الظن بالله عند الموت ٢٢٠٥/٤ .
٥ الزمر : ٥٣ .

وقد علم المصطفون ممن اختارهم الله لتحمل البلاغ ونزول الوحي الناس الأمل والتفاؤل:

فإبراهيم رغم كبره وشيخوخته لم يفقد الأمل في الولد ، ولم ييأس من الدعاء والأمل ، فقال :﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[1] فكان إسماعيل هبة الله له﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾[2]

ويعقوب حين فقد ولده يوسف لجأ إلى نفسه و تسلح بالصبر وتذرع بالأمل بالأمل ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[3] ﴿ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[4]

وأيوب عليه السلام حين زاد عليه البلاء دعا ربه متفائلا بكشف الضر ﴿ ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[5]

وعلى دربهم يسير المسلم في حياته ، لا يفقد الأمل ، ولا يترك التفاؤل وحسن الظن ، لعلمه أن الأمور بيد الله ، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وأن رزقه مكتوب ، وقدره مقسوم ، ولن يصيبه إلا ما قدره الله .

يعيش المسلم بهذا اليقين فيرتاح بالله ، وتسعد نفسه ، ويطمئن على غده ومستقبله ، على حين يعيش غيره في نكد وغم وحزن وكرب ، يحمل هم غده

---

١ الصافات: ١٠٠
٢ الصافات : ١٠١.
٣ يوسف : ٨٣ .
٤ يوسف : ٨٧ .
٥ الأنبياء : ٨٣ .

هم غده ، ويحارب على الرزق ، ويندم ويحزن على من فاته . إنه اليقين اليقين والثقة والتفاؤل والأمل.

ولقد علمنا النبي صلى الله عليه وسلم التمسك بالأمل والتفاؤل من خلال مواقفه وسيرته الزكية .

ففي الصحيح أن أبا هريرة قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: لا يقول: لا طيرة وخيرها الفأل قيل: يا رسول الله وما الفأل؟ قال: «الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم. [١]

وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم الفأل بالكلمة الصالحة والحسنة والطيبة، والطيبة، قال العلماء: يكون الفأل فيما يسر وفيما يسوء، والغالب في السرور. والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء، قالوا وقد يستعمل مجازا في السرور، يقال: تفاءلت بكذا بالتخفيف وتفألت بالتشديد وهو الأصل ، والأول والأول مخفف منه ومقلوب عنه. [٢]

١ صحيح مسلم كتاب السلام باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم٤/١٧٤٥.
٢ من تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي على صحيح مسلم ٤/١٧٤٥ .

التفاؤل والطيرة :

التطير هو التشاؤم بشيء مسموع أو مرئي أو معلوم ، كمن يتشاؤم بطير أو اسم أو زمن أو مكان .

وأصله التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء ، وإنّما غلب اسم الطير لطير لأوليته ، أو لخفته ، أو لأن ما كان يقع في قلوبهم بسببه أقوى مما مما كان يقع فيها بسبب الظباء . ثُمَّ كثر استعمال التطير ، وتوسع في مدلوله مدلوله حتى أصبح اسمًا لكل تشاؤم بقطع النظر عن متعلقه من طير أو غيره غيره ، وهي من أمور الجاهلية وذكرت عن أصحاب المثلات في قوله تعالى ﴿ قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾[1] وقال ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2] ﴿ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾[3] أي معتدون متجاوزون بجهلكم ما لم يكن حقه أن يتجاوز من من الإذعان للحق ، والإيمان بعموم القدر ، وإثبات أسباب الخير والشر كما كما هي في الواقع وفس الأمر ؛ فالخير والشر ، واليُمن والشؤم ، والضب والضب والجدب ، والحسنات والسيئات كلّها من عندالله تعالى ؛ أي بما يقدّره بما يقدّره على عباده بسبب أعمالهم لا بما يتوهمونه ويتطيرون به من الذوات والمعاني ؛ ولهذا أضاف ما أصابهم لنفسه إضافة تقدير وخلق ،

---

١ النمل: ٤٧.
٢ الأعراف: ١٣١
٣ يس: ١٨ - ١٩

وأضافه إليهم إضافة سبب وفعل ؛ لأن طائر الباغي الظالم معه تسببًا وكسبًا وكسبًا ، وإن كان من عندالله تقديرًا وخلقًا[١]

وقوله "لا عدوى ولا طيرة " محتمل أن يكون نفيًا وأن يكون نهيًا ؛ أي لا تتطيروا ..

والنفي في هذا أبلغ من النهي ؛ لأن النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره ، والنهي إنما يدل على المنع منه .

وفائدة هذا النفي : ليرفع عن المتوقع ما يتوقعه من ذلك كله ، ويعلمه أن أن ذلك ليس يناله منه إلا ما كتب له. [٢]

روى مسلم عن معاوية بن الحكم السلمي قال : قلت : يا رسول الله أمورا كنا أمورا كنانصنعها في الجاهلية ، كنا نأتي الكهان . قال : فلا تأتوا الكهان . الكهان . قلت : كنا نتطير ، قال ذاك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنكم يصدنكم .[٣]

قال ابن القيم : أخبر أنّ تأذيه وتشاؤمه بالتطير إنما هو في نفسه لا في المتطير به ؛ فوهمه وخوفه وإشراكه هو الذي يطيره ويصده لا ما رآه وسمعه وسمعه ؛ فأوضح صلى الله عليه وسلم لأمته الأمر ، وبيَّن لهم فساد الطِّيَرَة الطِّيَرَة ؛ ليعلموا أن الله سبحانه لم يجعل لهم عليها علامة ، ولا فيها دلالة ، دلالة ، ولا نصبها سببًا لما يخافونه ويحذرونه ؛ لتطمئن قلوبهم ، ولتسكن ولتسكن نفوسهم إلى وحدانيّته تعالى الَّتي أرسل بها رسله ، وأنزل بها كتبه ، وخلق لأجلها السّموات والأرض ، وعمر الدارين ، الجنّة والنّار ،

---

١ راجع : تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٣٩١ ، ٣٩٢ ، المفردات للراغب ص ٢٣٠ .

٢ انظر : التمهيد لابن عبد البر ٢٨٣/٩ ، ومفتاح دار السَّعادة ٢٣٤/٢ ، شرح صحيح مسلم للنّووي ٢١٩/١٤ .

٣صحيح مسلم : كتاب السّلام ، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهّان (شرح النّووي ٢٢٣/١٤.)

، فبسبب التّوحيد ومن أجله جعل الجنّة دار التَّوحيد وموجباته وحقوقه ، والنَّار دار الشّرك ولوازمه وموجباته ، قطع صلى الله عليه وسلم علق الشرك من قلوبهم لئلا يبقى فيها علقة منها ، ولا يتلبّسوا بعمل من أعمال أعمال أهله ألبتة. [١]

والفرق بين التطير والتفاؤل أن التطير منهي عنها ، أما الفأل فمحبوب مندوب إليه، وقد جعل الله تعالى في الفطرة محبة ذلك ، كما جعل فيها الارتياح بالمنظر الأنيق والماء الصافي وإن لم يشرب منه ويستعمله .

والفأل تقوية لما فعله بإذن الله والتوكل عليه أما الطيرة فمعارضة ذلك .

ويضاف إليه أن الفأل من طرق حسن الظن بالله ، والطيرة لا تكون إلا في السوء في السوء فلذلك كرهت. [٢]

الكهانة حكمها وأنواعها.

معنى الكهانة:

يقال كهن يكهن كهانة وتكهنا :قضى بالغيب ، والكاهن هو الذي يدعي معرفة معرفة الغيب وما يستقبل من الزمان ، وتسمى العرب كل من يتعاطى علماً علماً دقيقاً كاهناً، ومنهم من كان يسمي المنجم والطبيب كاهناً. [٣]

وقد ورد اللفظ في القرآن في قوله تعالى ﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ [٤] ، ﴿ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [٥]

---

١ مفتاح دار السعادة ٢٣٤/٢ ط دار الكتب العلمية - بيروت

٢ راجع : عون المعبود ٢٩٣/١٠ مجموع الفتاوى ٨١/٤ فتح الباري ٢١٥/١٠

٣ العين ٣٧٩/٣ ، لسان العرب٢٦٢/١٣ - ٢٦٣، القاموس ص١٥٨٥، الصحاح ٢١٩١/٦.

٤ الطور : ٢٩.

٥ الحاقة : ٤٢ .

كما ورد اللفظ في قوله صلى الله عليه وسلم : من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد .[١]

قال ابن حجر – رحمه الله –: الكهانة بفتح الكاف ويجوز كسرها، ادعاء علم ادعاء علم الغيب، كالإخبار بما سيقع في الأرض، مع الاستناد إلى سبب، سبب، والأصل فيه استراق الجن السمع من كلام الملائكة، فيلقيه في أذن أذن الكاهن. والكاهن لفظ يطلق على العراف، والذي يضرب بالحصى، والمنجم، والمنجم، ويطلق على من يقوم بأمر آخر، ويسعى في قضاء حوائجه.[٢]

الكهانة والعرافة:

قيل: إنهما بمعنى واحد يطلقان على كلِ من يتعاطى علماً دقيقاً ، وقيل: إن الكاهن هو مَنْ يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويدَّعي معرفة الأسرار سواء كان له تابع من الجن، ورئيٌّ يلقي إليه الأخبار، أو كان ممن يزعم أنه يعرف الأمور بمقدمات يُسْتَدَلُّ بها على مواقعها مِنْ كلامِ مَنْ يسأله، أو فعله، أو حاله.

وقيل: بل هذا الأخير هو العراف الذي يدعي معرفة الشيء المسروق، ومكان الضالة، ونحوها.

وقيل: الكاهن مَنْ يخبر عن الغيب الماضي والمستقبل، والعراف من يخبر عن يخبر عن الماضي.[٣]

وفي معالم السنن للخطابي: " الكاهن هو الذي يدعي مطالعة علم الغيب، ويخبر ويخبر الناس عن الكوائن، وكان في العرب كهنة يدعون أنهم يعرفون كثيراً

---

١ صحيح: أخرجه أحمد (٢/ ٤٢٩ - المكتب الإسلامي)، والحاكم (١/ ٨) وقال: " حديث صحيح على شرطهما "، ووافقه الذهبي.

٢ فتح الباري ٢٢٧/١٠.

٣ حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار فقه أبو حنيفة لابن عابدين ٤٢٤/٦ ط دار الفكر للطباعة والنشر بيروت ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

كثيراً من الأمور، فمنهم من كان يزعم أن له رئيا من الجن وتابعة تلقي إليه إليه الأخبار، ومنهم من كان يدعي أنه يستدرك الأمور بفهم أعطيه، وكان وكان منهم من يسمى عرافاً، وهو الذي يزعم أنه يعرف الأمور بمقدمات بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها؛ كالشيء يسرق فيعرف المظنون المظنون به السرقة، وتتهم المرأة بالزنية فيعرف من صاحبها، ونحو ذلك من ذلك من الأمور، ومنهم من يسمي المنجم كاهناً . [١]

حكم الكهانة :

ورد في الكهانة أخبار تبين حكمها منها ما رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول فقد فقد كفر بما أنزل على محمد .[٢]

وفي رواية : من أتى كاهناً فصدّقه بما يقول؛ فقد برئ مما أنزل على محمد محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن أتاه غير مصدِّقٍ له؛ لم تُقبل له صلاة أربعين ليلة. [٣]

قال الشلطبي وهو يعدد علوم العرب وبيان باطلها : " ومنها ما كان أكثره أكثره باطلاً أو جميعه، كعلم العيافة، والزجر، والكهانة، وخط الرمل، والضرب بالحصى، والطيرة؛ فأبطلت الشريعة من ذلك البطل ونهت عنه، كالكهانة عنه، كالكهانة والزجر وخط الرمل، وأقرت الفأل، لا من جهة تطلب الغيب، الغيب، فإن الكهانة والزجر كذلك، وأكثر هذه الأمور تخرص على علم الغيب الغيب من غير دليل، فجاء النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بجهة من تعرف تعرف علم الغيب مما هو حق محض، وهو الوحي والإلهام، وأبقى للناس من للناس من ذلك بعد موته – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – جزءً من النبوة، وهو

٤١/ ٢٢٩ المطبعة العلمية ط الأولى ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م

٢ صحيح: أخرجه أحمد (٢/ ٤٢٩ - المكتب الإسلامي)، والحاكم (١/ ٨) وقال: " حديث صحيح على شرطهما "، ووافقه الذهبي.

٣ قال الهيثمي (٥/ ١١٨): " رواه الطبراني في " الأوسط "، وفيه رشدين بن سعد وهو ضعيف، وفيه توثيق في أحاديث الرقاق، وبقية رجاله ثقات."

الرؤيا الصالحة، وأنموذجاً من غيره لبعض الخاصة، وهو الإلهام والفراسة .١
والفراسة .١

حكم حلوان الكاهن ومن في معناه وحكم إتيانهم:

لا خلاف في حلوان الكاهن أنه ما يعطاه على كهانته، وهو من أكل المال بالباطل، والحلوان في أصل اللغة: العطية .

وتحريم حلوان الكاهن تنبيه على تحريم حلوان المنجم والزاجر وصاحب القرعة التي هي شقيقة الأزلام وضاربة الحصى والعراف والرمَّال ونحوهم ممن تطلب منهم الأخبار عن المغيبات، وقد نهى النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عن إتيان الكهان، وأخبر أن من أتى عرافاً، فصدقه بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل عليه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –.

ولاريب أن الإيمان بما جاء به محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وبما يجيء يجيء به هؤلاء لا يجتمعان في قلب واحد، وإن كان أحدهم قد يصدق أحياناً؛ فصدقه بالنسبة إلى كذبه قليل من كثير، وشيطانه التي يأتيه بالأخبار بالأخبار لا بد أن يصدقه أحياناً، ليغوي به الناس ويفتنهم به، وأكثر الناس مستجيبون لهؤلاء مؤمنون بهم، ولا سيما ضعفاء العقول؛ كالسفهاء كالسفهاء والجهال والنساء وأهل البوادي ومن لا علم لهم بحقائق الإيمان؛ الإيمان؛ فهؤلاء هم المفتونون بهم، وكثير منهم يحسن الظن بأحدهم، ولو كان ولو كان مشركاً كافراً بالله مجاهراً بذلك، ويزوره، وينذر له، ويلتمس دعاءه، دعاءه، فقد رأينا وسمعنا من ذلك كثيراً، وسبب هذا كله خفاء ما بعث الله به الله به رسوله من الهدى ودين الحق على هؤلاء وأمثالهم. [٢]

---

١ الموافقات في أصول الشريعة ١١٨/٣ ط دار ابن عفان الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م

٢ زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم ٥/ ٦٩٦ط مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت ط السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م

المبحث الثاني : صناعة المستقبل في ضوء القرآن الكريم .

قررت آيات القرآن أهمية المستقبل وأهمية العمل والتخطيط له ، ففي خطاب خطاب المؤمنين عامة قال الله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾[١]

فالآية تأمر بالتقوى والعمل للمستقبل مع مراعاة أن الله خبير بما تقومون به من أعمال.

وبالنظر إلى الأسرة والتخطيط المستقبلي للأولاد يقول الله تعالى ﴿ وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدًا ﴾[٢] ويؤكده ما لفتنا إليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس.[٣]

المطلب الأول : تحقيق الإرادة.

اختلفت الأقوال في تحديد مفهوم الإرادة .

فقيل في تعريفها إنها صفة توجب للحي حالاً يقع منه الفعل على وجه دون وجه.

وعرفت بأنها ماهية يجدها العاقل في نفسه، ويدرك التفرقة البديهية بينها وبين علمه وقدرته وألمه ولذته.[٤]

---

١ الحشر: ١٨

٢ النساء: ٩

٣ صحيح البخاري كتاب فضائل الصحابة باب اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ومرثيته لمن مات بمكة ١٤٣١/٢ ط دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧.

٤ راجع : التعريفات للجرجاني ص ٢٦ ،مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير لفخر الدين الرازي ١٣٧/٢

والقصود هنا قوة داخلية ووجدانية تنبع من ذات الإنسان تحمله على القيام بأمر ما نافعا كان أو غير نافع .

وقد نسبت ا لإرادة في القرآن إلى الله تعالى في مثل قوله تعالى ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾[١] ، وكقوله ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[٢]

ونسبت الإرادة إلى الإنسان في مثل قوله تعالى ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[٣] " ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[٤]

كما جاءت منسوبة إلى الشيطان في قوله تعالى ﴿ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾[٥]

مؤثرات تقوية ا لإرادة :

ومما يعين على تقوية ا لإرادة وتنميتها في نفس المسلم إيمانه .

فإن الإيمان الصادق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره يورث المسلم اليقين بأن الأمور كلها بيدالله يدبر الأمر كما يشاء يشاء ، خلقه للعبادة والتوحيد وضمن له رزقه وقوته ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ

١ النساء: ٢٨
٢ النحل: ٤٠
٣ الأنفال: ٦٧
٤ الأحزاب: ٢٨ ـ ٢٩
٥ النساء: ٦٠

وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [1]

ولهدايته وإنارة دربه أنزل الله له الكتب وأرسل الرسل : ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [2]، ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [3]، فالمسلم يعرف طريقه ومنهجه وحياته وغايته : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [4]

ولاشك أن من كان على بصيرة من أمره ومعرفة بعواقبه ، يحيا حياة هادئة هادئة مطمئنة ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [5]

ومن كان على غير ذلك كانت معيشته ضنكاً بتعبير القرآن لا يحقق هدفا ولا يدرك غاية

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [6]

قال الحافظ ابن كثير : { وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي } أي: خلف أمري، وما أنزلته وما أنزلته على رسولي، أعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هداه { فَإِنَّ

---

١ الذاريات: ٥٦ ـ ٥٨
٢ النساء: ١٦٥
٣ النحل: ٦٤
٤ الأنعام: ١٦٢
٥ النحل: ٩٧
٦ طه: ١٢٤ ـ ١٢٦

فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا }أي: في الدنيا، فلا طمأنينة له، ولا انشراح لصدره، بل لصدره، بل صدره ضيق حَرَج لضلاله، وإن تَنَعَّم ظاهره، ولبس ما شاء وأكل شاء وأكل ما شاء، وسكن حيث شاء، فإن قلبه ما لم يطمئن إلى اليقين والهدى، والهدى، فهو في قلق وحيرة وشك، فلا يزال في ريبة يتردد. فهذا من ضنك ضنك المعيشة.[١]

وفي الآخرة لا يستون : ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[٢]

وهو تهديد لهؤلاء الذين دعوا إلى الحق، فلم يستجيبوا، ورفضت لهم معالم معالم الاستبصار، فلم يصروا- فهؤلاء لهم عذاب شديد، على حين أن الذين الذين آمنوا واهتدوا سيلقون من الله سبحانه ورحمة ورضوانا.. فهذا هو ميزان الناس عندالله إنه ميزان عدل، لا يسوى فيه بين من اجْتَرَحُوا السَّيِّئاتِ السَّيِّئاتِ أي اقترفوا الآثام والمنكرات، وبين الذين آمنوا وعملوا الصالحات.. الصالحات.. فهؤلاء غير أولئك، فى الدنيا وفى الآخرة جميعا.. إنهم ليسوا ليسوا سوآء عندالله فى الدنيا أو فى الآخرة.. وهذا ما يشير إليه قوله تعالى تعالى فى موضع آخر: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾[٣] فالمؤمنون على هدى من ربهم فى الدنيا، الدنيا، وفى الآخرة، يؤنسهم الإيمان فى الدنيا، ويملأ قلوبهم أمنا وطمأنينة، وهم بهذا الإيمان يلقون ربهم فى الآخرة، فينزلهم منازل رحمته ورضوانه.

---

١ تفسير القرآن العظيم ٣٢٣/٥ دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة : الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م

٢ الجاثية: ٢١

٣ ص: ٢٨

أما الكافرون وأهل الضلال، فهم من كفرهم وضلالهم، لا يجدون برد الطمأنينة فى الدنيا، ولا ريح الرحمة فى الآخرة.. وذلك هو الخسران المبين..[١]

فحرمان الهداية الربانية يضعف الإرادة ، ويورث الخسران في الدنيا والآخرة .

ومما يعين على تقوية الإرادة المعرفة والعلم ، فقد فضل الله العلماء على على غيرهم ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾[٢]

والمعنى : هل يستوى الذين يعلمون ما لهم في طاعة ربهم من الثواب، وما عليهم في معصيتهم إياه من عقاب، والذين لا يعلمون ذلك، فهم يخبطون خبط عشواء، لا يرجون بحسن أعمالهم خيرا، ولا يخافون من سيئها شرا.

وجاء هذا الكلام بأسلوب الاستفهام للدلالة على أن الأولين بلغوا أعلى معارج الخير، وأن الآخرين درجوا في دركات الشر، ولا يخفى ذلك على ضعف ولا مكابر.

ثم بين أن ما سلف إنما يفهمه كل ذى لبّ، فأمثال هؤلاء على قلوبهم غشاوة، لا يفقهون موعظة، ولا تنفع فيهم التذكرة فقال:

(إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبابِ) أي إنما يعتبر بحجج الله ويتعظ بها ويتدبرها أهل العقول والحجا، لا أهل الجهل والغفلة.

---

١ التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم الخطيب ٢٤٣/١٣ ط دار الفكر العربي – القاهرة.

٢ الزمر: ٩

والخلاصة أنه إنما يعلم الفرق بين هذا وذاك من له لب وعقل يتدبر به.[١]

به.[١]

وفي الآية إشعار بأن الذين يعلمون هم العاملون بعلمهم، إذ عبر عنهم أولا ب (القلت) ثم نفى المساواة بينه وبين غيره، ليكون تأكيدا له، وتصريحا بأن غير العالم كأن ليس بعالم.

قال القاشاني: وإنما كان المطيع هو العالم، لأن العلم هو التي رسخ في القلب وتأصل بعروقه في النفس، بحيث لا يمكن صاحبه مخالفته، بل سيط سيط باللحم والدم، فظهر أثره في الأعضاء لا ينفك شيء منها عن مقتضاه، مقتضاه، وأما المرتسم في حيز التخيل، بحيث يمكن ذهول النفس عنه وعن وعن مقتضاه، فليس بعلم. إنما هو أمر تصوريّ وتخيل عارض لا يلبث، بل يزول يلبث، بل يزول سريعا. لا يغذو القلب ولا يسمن ولا يغني من جوع إِنَّما يَتَذَكَّرُ أي يتعظ بهذا الذكر أُولُوا الْأَلْبابِ أي العقول الصافية عن قشر التخيل التخيل والوهم، لتحققها بالعلم الراسخ الذي يتأثر به الظاهر. وأما المشوبة المشوبة بالوهم فلا تتذكر ولا تتحقق بهذا العلم ولا تعيه.[٢]

---

١ تفسير المراغي ١٥٠/٢٣ مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.

٢ محاسن التأويل للقاسمي ٢٨٢/٨ ط دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٨هـ .

المطلب الثاني : بذل الجهود

الصبر :

رأس الفضائل والأخلاق ، وسلاح المرء في مواجهة المعاصي والموبقات ، وحصنه في الثبات على الطاعات ، وملاذه في النوازل والنكبات ، من تمسك به نال الفوز في المحيا ، وتبوأ الدرجات العلا بعد الممات .

إنه الصبر .

لا يستغنى عنه المرء في دينه ولا في دنياه ، وكلما زاد البلاء واشتد كانت الحاجة إلى الصبر أشد .

معنى الصبر :

الصَبْرُ: حَبس النفس عن الجزع. وقد صَبَرَ فلانٌ عند المصيبة يَصْبِرُ صَبْراً. وصَبَرْتُهُ أنا : حبسْته.

قال الله تعالى﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾(١)

والصَبْرٌ: تكلُّف الصَبْرِ.

والصَّبْرُ : الإكراه . يقال : صَبَرَ الحاكم فُلاناً على يَمين صَبْراً أَي : أَكرهه . أَكرهه . وصَبَرْت الرَّجل إذا حَلَّفته صَبْراً ، أَو قتلتَه صَبْراً ، ومنه الحديث الحديث : نهي رسول الله ﷺ أن تصبر البهائم(٢)

---

(١)الكهف:٢٨

(٢)صحيح البخاري كتاب الذبائح والصيد باب ما يكره من المثلة والمصبورة والمجثمة ٩٤/٧ ط طوق النجاة ط الأولى ١٤٢٢هـ ، وصحيح مسلم كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان باب النهي عن صيد البهائم ١٥٤٩/٣ ط إحياء التراث العربي بيروت .

والصَّبْرُ نقيض الجَزَع صَبَرَ يَصْبِرُ صَبْراً فهو صابِرٌ وصَبَّار وصَبِيرٌ وصَبُور ، والأُنثى صَبُور أَيضاً بغير هاء ، وجمعه صُبُرٌ .

والصَّبْرُ الجَراءة ، ومنه قوله عز وجلّ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾[1] أَي ما أَجرأَهم على أَعمال أَهل النار. [2]

وفي أَسماء الله تعالى الصَّبُور [3]. تعالى وتقدَّس . الذي لا يُعاجِل العُصاة العُصاة بالانْتقامِ ، وهو من أَبنية المُبالَغة ، ومعناه قَرِيب من مَعْنَى الحَلِيم ،

(١)البقرة: ١٧٥

(٢) الصحاح للجوهري ٧٠٦/٢ ، و لسان العرب ٤/ ٤٣٧ .

(٣) لم يرد اسم الله الصبور في القرآن ، وورد ذكره في السنة .

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لله تسعة وتسعين اسما، مائة إلا واحدا، إنه وتر يحب الوتر، من أحصاها دخل الجنة؛ هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع، البصير، الحكم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، المجيب، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المبدئ، المعيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الأحد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، المتعال، البر، التواب، المنتقم، العفو، الرؤوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، المانع، الغني، المغني، الجامع، الضار، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور . (الأسماء والصفات للبيهقي ١/ ٢٤ مكتبة السوادي السعودية ط الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٤م ، سنن الترمذي ٥/ ٥٣١ط مصطفي البابي الحلبى ط الثانية ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥م وقال : هذا حديث غريب حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح ولا نعرفه إلا من حديث صفوان بن صالح: وهو ثقة عند أهل الحديث وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ولا نعلم في كبير شيء من الروايات ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث. وقد روى آدم بن أبي إياس هذا الحديث بإسناد غير هذا عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ وذكر فيه الأسماء وليس له إسناد صحيح) .

الحَلِيم ، والفرْق بينهما : أَن المُثْبِ لا يأْمَنُ العُقوبة في صِفَة الصَّبُور ، كما كما يأْمَنُها في صِفَة الحَلِيم [١] .

أهمية الصبر وحاجة الإنسان إليه

لأهمية الصبر وحاجة الإنسان إليه كثر ذكره في القرآن في آيات متعددة ، وجاء مقروناً بأركان الإسلام ومقامات الإيمان .

قال ابن القيم [٢] :

إنه سبحانه قرن الصبر بأركان الإسلام ومقامات الإيمان كلها.

فقرنه بالصلاة كقوله ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾[٣]

وقرنه بالأعمال الصالحة عموما كقوله ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾[٤] ، وجعله قرين التقوى كقوله من

---

(١)اختلفوا في تأويل الصبور على ثلاثة أقوال:
١ - إنه من صفات الذات ولكن يرجع إلى إرادة تأخير العقوبة والحليم يرجع إلى إسقاطها.
٢ - إنه من صفات ذاته، وإنه بمعنى حليم. قاله ابن فورك والقشيري.
٣ - إنه من صفات الفعل، ويرجع إلى تأخير العقوبة وإليه ذهب أبو حامد.(الأسنى للقرطبي ١٣٨/١)
قال ابن حجر : من أسمائه الحسنى سبحانه وتعالى: الصبور، ومعناه الذي لا يعامل العصاة بالعقوبة، وهو قريب من معنى الحليم، والحليم أبلغ في السلامة من العقوبة.
(فتح البارى شرح صحيح البخارى ٣٦١/١٣ ط دار المعرفة بيروت ١٣٧٩ هـ)
(٢) محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم الجوزية الدمشقي ، العالم الفاضل المحقق ، شمس الدين صنف تصانيف كثيرة في أنواع العلم ، له في كل فن من الفنون اليد الطولى توفي سنة ٧٥١هـ (طبقات المفسرين للأدنروى ٢٨٤ ط دار العلوم والحكم السعودية ط الأولى ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ م ،طبقات المفسرين للداودي ٩٤/٢ وما بعدها ط دار الكتب العلمية بيروت)
(٣)البقرة:٤٥
(٤)هود: ١١

﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[١] .

وجعله قرين الشكر، كقوله ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴾[٢].

وجعله قرين الحق، ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾[٣]

وجعله قرين الرحمة ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ﴾[٤] .

وجعله قرين اليقين، ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[٥] .

وجعله قرين الصدق، كقوله ﴿ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ ﴾[٦] .

وجعله سبب محبته، ومعيته، ونصره، وعونه، وحسن جزائه، ويكفي بعض ذلك بعض ذلك شرفا وفضلا . [٧]

---

(١)يوسف:٩٠
(٢)إبراهيم:٥
(٣)العصر:٣
(٤)البلد:١٧
(٥)السجدة:٢٤
(٦)الأحزاب:٣٥
(٧)عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم ص ٧٦ ط دار ابن كثير دمشق بيروت ط الثالثة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

والنظر في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم يجد مادة (ص ب ر) بكل بكل مشتقاتها قد وردت في القرآن مائة مرة وبضع مرات .(١)

وجاء الصبر في ثلاث آيات موصوفا بالجميل ، اثنتان منها في حق نبىالله يعقوب ومحنته في فقد يوسف وأخيه .

قال تعالى :﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًاۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾(٢)

(١) قال الغزالي : ذكر الله الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعا .
أما ابن القيم فنقل عن الإمام أحمد قوله الصبر في القرآن في نحو تسعين موضعا
ونقل أبو طالب المكي عن بعض العلماء قوله : أي شيء أفضل من الصبر وقد ذكره الله تعالى في كتابه في نيف وتسعين موضعا ؟ ! ولا نعلم شيئاً ذكره الله تعالى هذا العدد إلا الصبر .
ولا تنافي بين كل هذه الآراء ؛ لأن الموضع الواحد قد تذكر فيه مادة ص ب ر أكثر من مرة ، فيحسبها بعضهم موضعاً واحداً ، وبعضهم موضعين أو أكثر .
مثال ذلك في قوله تعالى في أواخر سورة النحل ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ (النحل: ١٢٦ ـ ١٢٨) ، فالمادة هنا ذكرت أربع مرات في آيتين ، بحيث يمكن أن تحسب موضعاً واحداً ، وأن تحسب موضعين باعتبارين ... وهكذا
راجع :قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد لأبي طالب المكي ٣٣٠/١ ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الثانية١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥ م ، وإحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالى ٦١/٤ ط دار المعرفة بيروت ، ومدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن قيم الجوزية ٢/ ١٥١ ط دار الكتاب العربي بيروت ط الثالثة ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦ م ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن بحاشية المصحف الشريف وضعه محمد فؤاد عبد الباقى ص ٣٩٩ ط دار الكتب المصرية ١٣٦٤هـ ، والصبر في القرآن د/يوسف القرضاوى ص ٧ مكتبة وهبه ط الثالثة ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م
(٢){يوسف:١٨}

﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(١)

والآية الأخرى التي وُصف فيها الصبر بالجميل في حق نبي الله محمد ﷺ ، وهي قوله تعالى ﴿ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾(٢)

ولقد اتسعت دائرة الصبر وشملت مجالات رحبة .

قال الغزالي : أعلم أن الصبر ضربان أحدهما ضرب بدني كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليها وهو إما بالفعل كتعاطي الأعمال الشاقة إما من العبادات أو من غيرها واما بالاحتمال كالصبر على الضرب الشديد والمرض العظيم والجراحات الهائلة وذلك قد يكون محمودا إذا وافق الشرع.

ولكن المحمود التام هو الضرب الآخر وهو الصبر النفسي عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى.

ثم هذا الضرب إن كان صبرا على شهوة البطن والفرج سمى عفة.

وإن كان على احتمال مكروه اختلفت أساميه عند الناس باختلاف المكروه التي غلب عليه الصبر.

فإن كان في مصيبة اقتصر على اسم الصبر وضاده حالة تسمى الجزع والهلع وهو إطلاق داعي الهوى ليسترسل في رفع الصوت وضرب الخدود وشق الجيوب وغيرهما.

وإن كان في احتمال الغنى سمى ضبط النفس وضاده حالة تسمى البطر.

---

(١) {يوسف:٨٣}

(٢) {المعارج:٥}

وإن كان في حرب ومقاتلة سمى شجاعة ويضاده الجبن.

وإن كان في كظم الغيظ والغضب سمى حلما ويضاده التذمر.

وإن كان في نائبة من نوائب الزمان مضجرة سمى سعة الصدر ويضاده الضجر والتبرم وضيق الصدر.

وإن كان في إخفاء كلام سمي كتمان السر وسمي صاحبه كتوما.

وإن كان عن فضول العيش سمى زهدا ويضاده الحرص.

وإن كان صبرا على قدر يسير من الحظوظ سمي قناعة ويضاده الشره.

فأكثر أخلاق الإيمان داخل في الصبر.

ولذلك لما سئل عليه السلام مرة عن الإيمان قال هو الصبر لأنه أكثر أعماله وأعزها كما قال "الحج عرفة".

وقد جمع الله تعالى أقسام ذلك وسمى الكل صبرا فقال تعالى "والصابرين في البأساء" أي المصيبة "والضراء" أي الفقر "وحين البأس" أي المحاربة "أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون".

فإذن هذه أقسام الصبر باختلاف متعلقاتها ومن يأخذ المعاني من الأسامي الأسامي يظن أن هذه الأحوال مختلفة في ذواتها وحقائقها من حيث رأي الأسامي مختلفة والذي يسلك الطريق المستقيم وينظر بنور الله تعالى يلحظ المعاني أولا فيطلع على حقائقها ثم يلاحظ الأسامي فإنها وضعت دالة دالة على المعاني فالمعاني هي الأصول والالفاظ هي التوابع ومن يطلب الأصول من التوابع لا بد وأن يزل.[1]

---

١ إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي ٤/ ٦٧ ط دار المعرفة بيروت .
وللمزيد : راجع : الصبر في القرآن د. يوسف القرضاوي ص ٨ وما بعدها ط مكتبة وهبة بالقاهرة ط الثانية ١٤١٠هـ -١٩٨٩م.

الإحسان :

وردت كلمة الإحسان في القرآن الكريم أكثر من ثلاثين مرة ، فقد أمر الله الله سبحانه به في قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾[١]

والإحسان : يعني إحسان الأعمال والعبادة أي الاتيان بها على الوجه اللائق اللائق ، وهو إما بحسب الكيفية كما يشير إليه ما رواه البخاري من قوله صلى قوله صلى الله عليه وسلم : الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه تراه فإنه يراك "[٢] .

أو بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل الجابرة لما في الواجبات من النقص

ويجوز أن يراد بالإحسان الإحسان المتعدي بإلى لا المتعدي بنفسه فإنه يقال يقال : أحسنه وأحسن إليه أي الإحسان إلى الناس والفضل عليهم .[٣]

والحسن: عبارة عن كل مبهج مرغوب فيه، وذلك ثلاثة أضرب:

مستحسن من جهة العقل.

ومستحسن من جهة الهوى.

ومستحسن من جهة الحس.

والحسنة يعبر عنها عن كل ما يسر من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله..

---

١ النحل: ٩٠

٢صحيح البخاري كتاب الإيمان باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان ١٩/١

٣ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني شهاب الدين الألوسي ٤٥٤/٧ ط: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى ١٤١٥ هـ بتصرف يسير .

والفرق بين الحسن والحسنة والحسنى أن الحسن يقال في الأعيان والأحداث، والأحداث، وكذلك الحسنة إذا كانت وصفا، وإذا كانت اسما فمتعارف في في الأحداث، والحسنى لا يقال إلا في الأحداث دون الأعيان، والحسن أكثر أكثر ما يقال في تعارف العامة في المستحسن بالبصر، يقال: رجل حسن حسن وحسان، وامرأة حسناء وحسانة.[١]

وعظم الله تعالى ثواب المحسنين، فقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [٢]، [٢]، وقال تعالى:

﴿ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [٣].

ولأهمية الإحسان ومنزلته ورد في القرآن قرين الإيمان والإسلام والتقوى والتقوى ، فجاء قرين الإيمان في قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ [٤] وجاء الإحسان مع الإسلام في قوله جل وعلا ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [٥] ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [٦]

فقوله "وهو محسن" جيء به جملة حالية لإظهار أنه لا يغني إسلام القلب وحده ولا العمل بدون إخلاص بل لا نجاة إلا بهما ورحمة الله فوق ذلك فوق ذلك إذ لا يخلو امرؤ عن تقصير.[٧]

---

١ راجع : المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ٢٣٧ ط دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت
٢ العنكبوت: ٦٩
٣ البقرة: ١٩٥
٤ الكهف: ٣٠
٥ البقرة: ١١٢
٦ النساء: ١٢٥
٧ التحرير والتنوير (١/ ٦٧٥)

وقد تعددت وجوه الإحسان في القرآن ، وجاء الإحسان إلى الوالدين على على رأسها فقال تعالى ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ﴾ [١]

وفى قوله تعالى : « وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً » أمر من أمر الله ، ووصاة من وصاياه ، بل هو الأمر الأول ، والوصاة الأولى ، بعد الأمر بالإيمان به ، والوصاة بعبادته وطاعته .. فالإحسان إلى الوالدين حقّ من حقوقهما على على المولودين ، إذ كان لهما أثر فى وجود الأبناء ، وفى البلوغ بهم مبلغ مبلغ الحياة.[٢]

قال الفخر الرازي : واعلم أنه تعالى قرن إلزام بر الوالدين بعبادته وتوحيده في مواضع :

أحدها : في هذه الآية ، وثانيها : قوله : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ﴾ [٣] وثالثها : قوله : ﴿ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ ﴾ [٤] وكفى بهذا دلالة على تعظيم حقهما ووجوب برهما والاحسان اليهما. ومما يدل على وجوب البر اليهما قوله تعالى : {فَلا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلا كَرِيمًا}[٥] وقال : {وَوَصَّيْنَا الانسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا } وقال في الوالدين الكافرين : {وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى ا أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِه عِلْمٌ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى الدُّنْيَا مَعْرُوفًا }[٦] ...

---

١ النساء: ٣٦

٢ التفسير القرآني للقرآن . عبد الكريم الخطيب ٧٨٧/٣ ط دار الفكر العربي – القاهرة.

٣ الإسراء: ٢٣

٤ لقمان: ١٤

٥ (الإسراء : ٢٣)

٦(لقمان : ١٥)

واعلم أن الاحسان إلى الوالدين هو أن يقوم بخدمتهما ، وألا يرفع صوته صوته عليهما ، ولا يخشن في الكلام معهما ، ويسعى في تحصيل مطالبهما مطالبهما والانفاق عليهما بقدر القدرة من البر ، وأن لا يشهر عليهما سلاحا ، ولا يقتلهما.[١]

وأمر الله بالإحسان فى القول في قوله تعالى ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ أَحْسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾[٢]

يأمر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يأمر عباد الله المؤمنين، أن يقولوا يقولوا في مخطباتهم ومحاوراتهم الكلام الأحسن والكلمة الطيبة؛ فإنه إذ لم لم يفعلوا ذلك، نزغ الشيطان بينهم، وأخرج الكلام إلى الفعال، ووقع الشر الشر والمخاصمة والمقاتلة، فإن الشيطان عدو لآدم وذريته من حين امتنع امتنع من السجود لآدم، فعداوته ظاهرة بينة؛ ولهذا نهى أن يشير الرجل إلى إلى أخيه المسلم بحديدة، فإن الشيطان ينزغ في يده، أي: فربما أصابه بها.[٣] بها.[٣]

والإحسان أيضا مطلوب في الجدال في قوله ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[٤]

وقوله تعالى: وَجادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» هو بيان لمرحلة من مراحل الدعوة، وهى المرحلة التالية، للدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.. فالرسول فالرسول مطلب بأن يعرض دعوته فى أسلوب من الحكمة والموعظة الحسنة، الحسنة، فإذا تقبّل المدعوّون دعوة الرسول فى هذا الأسلوب، من غير عناد

١ مفاتيح الغيب ٧٧/١٠ ط دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م
٢ الإسراء: ٥٣
٣ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨٧/٥ دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة : الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م
٤ النحل: ١٢٥

عناد أو جدال، فذاك، وإن كان من المدعوين عناد وجدال، فلا يلقى النبىّ النبىّ المعاندين المجادلين، معاندا مجادلا، فذلك من شأنه أن يعمّى على الحق، الحق، وأن يسدّ المنافذ الموصلة إليه، وإنما على الرسول أن يلقى جدال المجادلين بالحسنى، وأن يصرفهم عن هذا الجدل العقيم، إلى ما هو أجدى أجدى وأنفع لهم.. [١]

وفي أهل الكتاب قال ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ ﴾ [٢]

ونهاية القول أن الإحسان مطلوب في كل شيء في القول والعمل ، مع القريب والبعيد ، حتى مع الحيوان في ذبحه أو قتله كما قال صلى الله عليه عليه وسلم " إن الله عز و جل كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح ليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته [٣] ذبيحته [٣]

١ التفسير القرآني للقرآن (٧/ ٣٩٨)
٢ العنكبوت: ٤٦
٣ سنن الترمذي كتاب الديات ما جاء في النهي عن المثلة ٢٣/٤ وقال هذا حديث حسن صحيح ط دار إحياء التراث العربي - بيروت

المبحث الثالث : التطلعات المستقبلية في القرآن الكريم .

وتحته مطالب:

المطلب الأول : البناء النفسي والعقلي.

النفس هي محرك الإنسان نحو تحقيق أهدافه وإشباع حاجاته على قدر المستطاع ، ولذلك وجب تدريبها وتعليمها كيف تتوجه إلى المنافع المرضية السوية لا إلى المهلكات والموبقات .

وإلى جانب الدوافع النفسية هناك العواطف، وإذا ما ارتبطت هذه العواطف بالله العواطف بالله كان لها دور بالغ الأهمية، في توجيه سلوك الإنسان، حيث نجد حيث نجد المجال فسيحاً صحيحاً في أنواع النشاطات الاجتماعية ، وهي تنمو تنمو بهذه العواطف وتستقر ويتهيأ لها سبيل النجاح.[١]

وقد مد القرآن الشخصية المسلمة بمجموعة من الضوابط توجهه في سلوكه ، وتحقق له أهدافه وغاياته ، مما يحقق له التوازن النفسي .

فالإنسان تحركه دوافع أولية تبدأ معه من لحظة ميلاده ، ودوافع أخرى تتجدد معه ويكتسبها ويتعلمها من بيئته ، وقد عالج القرآن كل هذه النوازع وقومها وهذبها .

فبين القرآن أن الإنسان يميل إلى كل ما يحافظ على استقراره العاطفي والنفسي ، فهو يرى أن المال يحقق له السعادة والرخاء قال تعالى ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ [٢] ، ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ [٣] ، ويضبط القرآن القرآن هذا السلوك ببيان أن المال مطلوب لتحقيق ما يحتاجه لكن شريطة أن

---

١ معالم شخصية المسلم د. يحيى هاشم فرغل ص ٦٧ ط دار الهدى عمان ١٩٩٣م .
٢ الفجر: ٢٠
٣ العاديات: ٨

شريطة أن لا يطغيه ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ [١] ، ولم يحرمه من من الاستمتاع بطيبات حياته

﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [٢] وفي ذات الوقت حذره من عواقب عدم أداء ما يستحقه المال ﴿ المال ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [٣]

كما أمن الله تعالى المسلم من الخوف من مستقبل حياته ، فأمنه على رزقه وحياته ، وسخر له ما حوله ، وأمره بالسعي والتأمل .

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [٤]

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [٥]

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [٦] ﴿ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [٧]

وأحل له ما حرمه عليه حفاظا على حياته :

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [٨]

---

١ العلق: ٦ - ٧
٢ الأعراف: ٣١
٣ التوبة: ٣٤
٤ الحج: ٦٥
٥ الجاثية: ١٢
٦ الروم: ٤٠
٧ الذاريات: ٢٢
٨ البقرة: ١٧٣

والمسلم لا يخاف الموت لأنه يعلم أن الموت انتقال من الضيق إلى السعة ، فإيمانه بالله وما أعده له في جنته من نعيم يجعله في مأمن من القلق والخوف ، ويسعى في الحياة جاهدا لبلوغ مرامه .

﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ [١] ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴾ [٢]

﴿ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [٣]

فلا قلق ولا اضطراب لأحاث الحياة من حول الإنسان ليقينه بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وأن كل شيء بيد الله ، يقدره كما يشاء .

﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴾ [٤]

﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [٥] ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [٦]

وحرم على الإنسان كل ما يؤثر على عقله من تبعية و تقليد[٧] ، وآيات القرآن حافلة بالدعوة إلى إعمال العقل وذم تقليد السادة واتباع الآباء

---

١ الحجر: ٢٣
٢ ق: ٤٣
٣ آل عمران: ١٥
٤ الرعد: ٨
٥ القمر: ٤٩
٦ التوبة: ٥١
٧ وهو عبارة عن العمل بقول الغير من غير حجة ملزمة، وقيل هو اعتقاد صحة فتيا من لا يعلم صحة قوله (الإحكام في أصول الأحكام، للآمدى ٢٢١/٤، ، الجامع لأحكام القرآن ٢١٧/٢)

وتعظيم الرهبان والأحبار، كقوله تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[١]

وورد لفظ التبع – وما تفرع منه – في القرآن الكريم مائة وثلاثة وسبعين مرة في نوعين جامعين:[٢]

تبعية محمودة: وهى التي تكون باتباع أمر الله تعالى وكتبه ورسله والصالحين من عباده، وهذا النوع أمر الله تعالى به وحث عليه ومدح أصحابه من التابعين والمتبوعين.

أما التبعية المذمومة فهي التي يكون الاتباع فيها لغير الحق كاتباع الهوى الهوى والشيطان ومناهج الجاهلية الضالة أو تقاليد الآباء والسادة الضالين، الضالين، وهذا النوع قد ذمه الله تعالى في القرآن ذماً بالغاً وحرمه تحريماً، تحريماً، وتناول أصحابه بالتهديد والتنكيل في كل موطن.[٣]

ويفهم من مجموع ما سبق دعوة القرآن إلى تحرير العقل البشرى من القيود التي من شأنها أن تعوق مسيرته نحو التفكير والاجتهاد، وهذا من أسس بناء الشخصية المسلمة، بناؤها على الاستقلال وحرية الرأي.

---

(١) البقرة: ١٧٠.

(٢) راجع تفاصيل ذلك في كتاب الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد: المدخل إلى التفسير الموضوعي ١٦١-١٦٢ ط دار التوزيع والنشر الإسلامية ط الثانية ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

(٣) من آيات النوع الأول قوله تعالى: " مَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ " وقوله " وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ " أما النوع الثاني: فمنه قوله تعالى: " إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ "، فهذه الآية دالة على تبرأ المتبعين من أتباعهم حين معاينة العذاب، وهى عامة في كل متبع على الكفر والضلال "

المطلب الثاني : تنمية الصفات الانسانية.

من أجلَّ النعم التي أنعمالله بها على الإنسان: نعمة العقل. به يميز ويدرك، وعن طريقه يفكر ويبدع.

ومن أهمل عقله ولم ينتفع به أو لم يسخره فيما يجلب له النفع ويدفع عنه الضر فقد سقط في جهالات الضلال، وصار إلى جنس البهائم أقرب بل أضل سبيلا.

وقد صورت لنا آيات القرآن الكريم نفراً أغلقوا منافذ الإدراك، فلم ينتفعوا بها بقطيع من الأنعام لا تستجيب لنداء راعيها.

﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[1]

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[2]

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾[3]

فرغم توفر أدوات المعرفة لديهم من قلب وسمع وبصر، إلا أنهم لما لم ينتفعوا ينتفعوا بها ولم توصلهم إلى طريق الرشد والحق صاروا في عداد الأنعام، الأنعام، وهؤلاء هم شر الخلق كما قال سبحانه﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[4]

ولا شك أن العقول لا تستوي في الإدراك والفهم، بل بعضها يفوق في ذلك بعضاً.

---

(١) سورة البقرة: ١٧١.
(٢) يونس: ٤٢.
(٣) الحج: ٤٦.
(٤) الأنفال: ٢٢.

وقد لمس القرآن هذا التفاوت حتى في العقل الواحد. فلو تدبرنا قوله تعالى تعالى ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٞ ﴾ (١) لوقفنا على سر الأمر بمعاودة النظر والتأمل غير مرة في في خلق السموات وإجالته، فقد ينظر المرء إلى الشيء لكن لا يبصر منه إلا منه إلا القليل، وإذا أعاد النظر ظهر له بعض ما خفي عليه في المرة الأولى، الأولى، فلذلك تحداهم الله تعالى حتى ولو كرروا النظر مرات عديدة أن يظهر يظهر لهم في خلق الرحمن خلل أو فطر

والمعنى –كما قال الفخر الرازى – أنه لما قال: { مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ } كأنه قال بعده: ولعلك لا تحكم بمقتضى ذلك بالبصر الواحد، ولا ولا تعتمد عليه بسبب أنه قد يقع الغلط في النظرة الواحدة، ولكن ارجع البصر البصر واردد النظرة مرة أخرى، حتى تتيقن أنه ليس في خلق الرحمن من تفاوت من تفاوت ألبتة.(٢)

ولأهمية النظر والتعقل وردت كلمات العقل والنظر والتفكر والتدبر مرات عديدة ليصل الإنسان من خلال تدبره وتفكره ونظره وتأمله إلى الخلق الأعلى المدبر لهذا الكون ، وفي هذا تنمية للإنسان وقدراته العقلية .

كما حث القرآن أتباعه على الابتكار والإبداع والاختراع والبحث عن أصحاب القدرات والمواهب الذين من خلالهم ترفع راية الأمة وتنهض حضاريا .

(١) الملك:٣- ٤.
(٢) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ١٥ / ٣٩٩ ط دار الفكر.

روى الترمذي عن عائشة عائشة رضي الله عنها قلت قلت يا رسول الله بأي شيء الله بأي شيء يتفاضل الناس قال بالعقل في الدنيا والآخرة . قلت أليس يجزى يجزى الناس بأعمالهم قال يا عائشة وهل يعمل بطاعة الله تعالى إلا من عقل عقل فبقدر عقولهم يعملون وعلى قدر ما يعملون يجزون[١]

ووردت كلمة بدع ومشتقاتها في القرآن في أربعة مواضع في سياقات مختلفة :

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[٢]

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[٣]

﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[٤]

﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾[٥]

وقس على تلك المدارك الأخرى في الإنسان كالسمع والبصر والفؤاد وغير تلك .

---

١ نوادر الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم للحكيم الترمذي ٣٥٦/٢ ط دار الجيل سنة النشر ١٩٩٢م

٢ البقرة: ١١٧

٣ الأنعام: ١٠١

٤ الأحقاف: ٩

٥ الحديد: ٢٧

الخاتمة

هناك عدد من النتائج تم التوصل إليها في خلال هذا البحث وهي على النحو التالي :

- تجدد وجوه الاعجاز القرآني التي لا نهاية لها ، ففى كل يوم يتكشف وجه جديد مما يزيدنا إيماناً يقيناً بأنه كلام الله تعالى .
- لا صحة للقول بأن الحضارة الإسلامية حضارة مغلقة تعيش في الماضي ولا علاقة لها بالمستقبل .
- القرآن الكريم مليء بالقواعد والأسس المهمة لدراسة المستقبل .
- الدراسة المستقبلية في الإسلام أمر مشروع تقتضيه مصالح العباد في الخير والشر.
- إن في الدراسات المستقبلية حماية للأمة ، وحسن تدبير لها ، وإعداد للعدة على مواجهة ما تحتاجه.
- بيان الدراسات المستقبلية في القرآن ضرورة لازمة لرعاية مصالح الامة ومعرفة المسئوليات .
- معرفة الواقع المعيش معرفة حقيقية ركيزة أساسية للدراسة المستقبلية.
- الوقوف على أسلوب التدرج له دور مهم في الدراسة المستقبلية للوصول للهدف المنشود.

المراجع

القرآن الكريم . جل من أنزله .

ابن باديس: حياته وآثاره ط الشركة الجزائرية .

إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي ط دار المعرفة بيروت .

أدب الدنيا والدين لأبي الحسن الماوردي ، ط دار اقرأ بيروت ط الرابعة الرابعة ١٤٠٥ هـ. . ١٩٨٥م .

إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ط المطبعة الكبرى الأميرية،مصر لطبعة: مصر لطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ..

الأسماء والصفات للبيهقي مكتبة السوادي السعودية ط الأولى ١٤١٣ هـ. ١٩٩٤م

إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض ط دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع،مصر لطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ. – ١٩٩٨ م

أيهما الأساس.. صلاح الدين أم صلاح الدنيا؟ بقلم: د. محمد عمارة جريدة جريدة الأهرام المصرية ٢٠١٢/١٠/١م .

البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ط دار الفكر – بيروت لطبعة: ١٤٢٠ هـ..

تاج العروس من جواهر القاموس .المرتضي الزبيدي ط دار الهداية.

تأويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة ، ط دار الكتب العلمية بيروت ، ط الثانية الثانية ١٤٠١ هـ. . ١٩٨١ .

التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي دار المنهاج للنشر والتوزيع، والتوزيع، الرياض لطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ. .

تفسير القرآن الحكيم محمد رشيد رضا الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة سنة النشر: ١٩٩٠ م

تفسير القرآن العظيم لابن كثير دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة : الثانية الثانية ١٤٢٠ هـ. - ١٩٩٩ م

التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب ط دار الفكر العربي - - القاهرة

تفسير المراغي مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ. - ١٩٤٦ م.

تفسير المنار ، الإمام محمد عبده ،ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢م ١٩٧٢م .

التفسير المنير، وهبة الزحيلي دار الفكر المعاصر ط١، بيروت، لبنان، ١٩٩١م،

التمهيد لابن عبد البر النمرى ،ط وزارة عموم المعارف والشئون الإسمية الإسمية بالمغرب ١٣٨٧ هـ. .

الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى ، راجعه ، راجعه وضبطه د/ محمد إبراهيم الحفناوى ، خرج أحاديثه د / محمود محمود حامد عثمان ط دار الحديث ،ط الثانية ١٤٠٦ هـ. . ١٩٨٦م . ١٩٨٦م .

جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر ط٢ مكتبة الخانجي بالقاهرة.

حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار فقه أبو حنيفة حنيفة لابن عابدين ط دار الفكر للطباعة والنشر بيروت ١٤٢١ هـ. - - ٢٠٠٠م.

خصائص الصور الإسلامي، سيد قطب، ط دار الشروق، ط١، بيروت، بيروت، ١٩٨٦م،

درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ط دار الكنوز الأدبية - الرياض ١٣٩١ هـ..

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني شهاب الدين الألوسي الألوسي ط: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى ١٤١٥ هـ.
هـ.
زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم ط مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت ط السابعة والعشرون ، ١٤١٥ هـ. /١٩٩٤م
زهرة التفاسير محمد أبو زهرة ط : دار الفكر العربي
سُنَّة الابتلاء في القرآن الكريم – رجب نصر موسى الأشقر أطروحة لاستكمال لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، في نابلس، فلسطين.
سنة التدافع من منظور اسلامي معاذ بن محمد عبدالله مجلة الاسلام في اسيا اسيا الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا.
السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية د عبد عبد الكريم زيدان ط مؤسسة الرسالة ط الأولى ١٤٢٣هأ –١٩٩٣م .
.
السنن الإلهية في الحياة الإنسانية شريف الخطيب مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، والتوزيع،ط١، الرياض، ٢٠٠٤م
السنن الإلهية في القرآن الكريم ودورها في استشراف المستقبل عماد عبد عبد الكريم خصاونة –خضر إبراهيم قزق مجلة المنارة
سنن الترمذي مصطفي البابي الحلبي ط الثانية ١٣٩٥ هـ. . ١٩٧٥م ١٩٧٥م
الصبر في القرآن د. يوسف القرضاوي ط مكتبة وهبة بالقاهرة ط الثانية الثانية ١٤١٠ هـ. –١٩٨٩م.

لصحاح في اللغة، الجوهري، إسماعيل بن حماد الجوهري، ط دار الكتاب الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٥٦م

صحيح البخاري ط دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧.

صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ط المكتبة المصرية ط الأولى ١٣٤٩ هـ. ١٩٣٠م .

طبقات المفسرين للأدنروى ٢٨٤ ط دار العلوم والحكم السعودية ط الأولى الأولى ١٤١٧ هـ. . ١٩٩٧ م

طبقات المفسرين للداودي ط دار الكتب العلمية بيروت

عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم ط دار ابن كثير دمشق بيروت ط بيروت ط الثالثة ١٤٠٩ هـ. . ١٩٨٩م .

العقيدة الإسلامية وأسُسُها، عبد الرحمن حسن حبّنكة ط دار القلم، دمشق، دمشق، الدار الشامية، بيروت.

فتح البارى شرح صحيح البخارى ط دار المعرفة بيروت ١٣٧٩ هـ.

الفروق اللغوية أبو هلال العسكري ط مؤسسة النشر الإسلامي الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ.

الفوائد لابن القيم ط دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الثانية، ١٣٩٣ هـ. – ١٩٧٣ م.

في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ط دار الشروق ، ط الرابعة والعشرون سنة سنة ١٤١٥ هـ. / ١٩٩٥م.

فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ط دار الكتب العلمية بيروت – لبنان – لبنان الطبعة الاولى ١٤١٥ هـ. – ١٩٩٤ م

قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد التوحيد لأبي طالب المكي ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الطبعة الثانية١٤٢٦ هـ. -٢٠٠٥ م

الكشاف، الزمخشري ط دار الفكر ،ط١، القاهرة، ١٩٧٧م، ج٤، ص٤٦.

ص٤٦.

لسان العرب ابن منظور ط. دار صادر ،ط١، بيروت.

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ط:دار الفكر، بيروت – ١٤١٢ هـ.

مجموع فتاوى ابن تيمية ط ابن تيميه ط الثانية .

محاسن التأويل للقاسمي ط دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٨ هـ. .

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن قيم الجوزية ط ط دار الكتاب العربي بيروت ط الثالثة ١٤١٦ هـ. . ١٩٩٦ م

المدخل إلى التفسير الموضوعي د عبد الستار فتح الله سعيد ط دار التوزيع التوزيع والنشر الإسلامية ط الثانية ١٤١١ هـ. . ١٩٩١م.

المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ط دار الكتب العلمية – بيروت بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠

المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أبي العباس أحمد بن محمد بن علي بن علي المقرئ الفيومي مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، دار دار المؤيد للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م،

معالم التنزيل للإمام محي الدين البغوي تحقيق محمد عبالله النمر و آخرون آخرون طبعة دار طيبة ط الاولي ١٤٠٩ – ١٩٨٩ م.

معالم شخصية المسلم د. يحيى هاشم فرغل ط دار الهدى عمان ١٩٩٣م .

١٩٩٣م .

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن بحاشية الصحف الشريف وضعه محمد فؤاد عبد محمد فؤاد عبد الباقى ط دار الكتب المصرية ١٣٦٤ هـ. ،

المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية ط الثانية .
مفاتيح الغيب ط دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢١هـ. – ٢٠٠٠ م
مفتاح دار السعادة ط دار الكتب العلمية – بيروت
المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ط دار القلم، الدار الشامية – الشامية – دمشق بيروت
مفهوم السنن الربانية دراسة في ضوء القران الكريم د رضان خميس
المقاييس في اللغة، ابن فارس ط دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٥٦م
ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي من آي التنزيل دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
الموافقات في أصول الشريعة ط دار ابن عفان الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ./ ١٤١٧ هـ./ ١٩٩٧م
نوادر الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم للحكيم الترمذي ط ط دار الجيل سنة النشر ١٩٩٢م